African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 4, Issue 2, April-June2025
Page No: 343-365
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2024: 0.81 **SJIFactor 2024: 6.856** **ISI 2024: 0.846**

العفة في ضوء السنة النبوية المطهرة "دراسة تحليلية تربوية لثمرات العفة"

آمنة ربعاوي *
المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، تونس

Chastity in Light of the prophetic Sunnah "An Analytical Educational Study of the Fruits of Chastity"

Amna Rabaoui *
High School of Islamic Sciences, University of Zitouna, Tunis, Tunisia

*Corresponding author rabaouiamna6@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2025-04-02 **تاريخ القبول:** 2025-06-05 **تاريخ النشر:** 2025-06-15

الملخص
خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ووجهه إلى الطريق الصحيح الذي يضمن له حياة طيبة وآمنة فمن خلال تعاليم الاسلام وضع الله مجموعة من المبادئ الأخلاقية التي تهدف إلى تهذيب النفس، وقد ظهرت هذه المبادئ بوضوح في الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث المسلمين على التحلي بالأخلاق الفاضلة ومن أبرز هذه الأخلاق التي اهتم بها الاسلام بشكل خاص خلق العفة. ولما كان هذا الموضوع بهذه الأهمية أظهر هذا البحث الموسوم بـ" خلق العفة في ضوء السنة النبوية المطهرة-دراسة تحليلية تربوية لثمرات خلق العفة" عناية السنة النبوية المطهرة بمكارم الأخلاق من خلال ما حوته من النصوص التي تؤكد فضل خلق العفة في حياة المسلم.

الكلمات المفتاحية: العفة، السنة النبوية، دراسة تحليلية.

Abstract
God Almighty created humanity and guided them to the righteous path that ensures a good and secure life. Through the teachings of Islam, God established a set of moral principles aimed at refining the soul. These principles are clearly reflected in the noble Prophetic Traditions, which encourage Muslims to embody virtuous morals. One of the most emphasized virtues in Islam is chastity.
Due to the importance of this subject, this research, titled "Chastity in the Light of the Noble Prophetic Traditions—An Analytical and Educational Study of the Fruits of Chastity," explores the role of the noble Prophetic Traditions in promoting moral excellence through the texts that emphasize the virtue of chastity and its impact on a Muslim's life.

Keywords: : Chastity, Prophetic Traditions, Analytical Study**.**

مقدّمة:

خلق الله الإنسان وجعله خليفته في الأرض، فالإنسان هو محور الخطاب القرآني. وهو المخاطب في التنزيل الإلّهي، فالقرآن نزل له ولأجلّه ولا عجب في ذلك فشأن الإنسان ليس كسائر المخلُّوقات، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وسخر له كافة مخلوقات الكون لخدمته، فأنزل الله الكتب وأرسل الرّسل لهداية الخلق إلى الطّريق القويم، فالإنسان في حاجة إلى معرفة الطّريق الّذي يحقق له السّعادة في الدنيا والآخرّة ويصل به إلى جنّة الله وهذا الطريق لا يستطيع الإنسان أن يبلغه بمفرده إلّا بهداية الأنبياء ولهذا كانت بعثة الأنبياء ضرورية لتبيّن طريق النجَّاة، حتّى انتهت المسيرة ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين الّذي وجد أمّةً تعيش في غياهب الشرك وظلام الجاهليّة وانتشارٍ للأخلاق الذّميمة، فكانت الحالة تستوجب اهتماما بالغا بإصلاح العقيدة ونشر الشَّريعة وترسيخ الأخلاق الفاضلة، في مجتمعٍ انتشرت فيه الرذيلة المقنّنة بالعادات الجَّاهلية وغُيّبت القيم الإنسانيّة، ومن هنا كانت العناية بقضيّة الأخلاق من لدن رسول(صلى الله عليه وسلم)فهو الَّذي حرص على تثبيت الصالح منها وإصلاح ما فسد منها، وذلك لتحقيق الهدف الأسمى للرّسالة المحمدية وهو إتمام وإصلاح مكارم الأخلاق، ويبرز ذلك في قوله (صلى الله عليه وسلم)*إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق*.[1]

وقد أشاد الإسلام بمكارم الأخلاق، وجعل من نبَّينا (صلى الله عليه وسلم) الأسوة الحسنة، فكان قرآنا يمشي. فالأخلاق عنصر رئيسي في الدعوة الإسلامية وله دورٌ محوريٌّ في تكوين الفرد والأسرة والمجتمع والدولة، وهي الّتي تحمي المجتمعات من الانحلال والضياع وبها تنهض الأمم وتتّقدم، والمسلم لا يمكنه الاستغناء عن الأخلاق في حياته اليومية، سيما وأنَّ رسالة الإسلام تعتمد في منهجها العام على تهذيب النفس البشرية ولهذا شملت تعاليمه جميع جوانب الحياة، فلم يترك الإسلام أي فضيلة إلاّ وحثّ على التّمسك بها، ومن هذا المنطلق تربت النفوس ونشأت على مبادئ الحق، فقد حرص الإسلام وسعى إلى إقامة مجتمع مؤمن ومتماسك يتحلّى بالأخلاق الحسنَّة، فهذا البحث يندرج في إطار إبراز عناية السنة النبوية بمكارم الأخلاق من خلال دراسة الأحاديث النبوية الواردة في خلق "العفة" وذلك بجمعها وتخريجها وشرحها.

- **أهميّة البحث:**

ويندرج البحث في هذا الإطار ّالذي أردت من خلاله دراسة موضوع أخلاقي يمس المجتمع بصورة مبَّاشرة، ووجدت في خُلُق العِفّة مادّة خصبة لطرح قضيّة الأخلاَّق عمومًا والعفّة والتعفّف على وجه الخصوص، فهذا الخلق من أسمى الأخلاق الإسلاميّة وأنبلها نظرا لما يحمله من معاني إنسانيّة نبيلة وقيم عُليا.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على خلق العفَّة من حيثُ ارتِبَاطِه الوثِيق والمُبَاشر بِالمُجتمع المسلم، وتكتسب الدِّراسة أهميتها باعتبار حاجة الناس المَاسة لمثل هذا الخلق، فموضُوع العِفَة من أهم المَواضِيع الأخلاقية الّتي دعا إليها الإسلاَم وحثَّ عليها فهو من دعائم بناء شخصية المسلم، وهذا الخلق هو الّذي يحقق نهضة الأمم والشُّعوب خاصة في وقتنا الحالي حيث أصبحت جُل البلدان الإسلّامية تعيش حالة من الوهن والتّخلف الكبيريّن ومما لا شك فيه أنّ سبب هذا الوهن هوا لإخلال بإتّباع هدي النّبيّ(صلى الله عليه وسلم)وتتجلي أهمية خلق العفّة في كثرة الأحاديث النّبويّة الواردة فيها، ممّا يستوجب دراستها وشرحها وتحليلها مع ربط كل ذلك بواقعنا المعاش.

[1]- الخرائطيّ:(محمد بن جعفر بن محمد)، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائفها، أيمن عبد الجبار البحيرىّ، دار الأفق العربية – القاهرة، ط1، سنة 1419ه- 1999م، ح ر(1)، 27/1.

- **إشكالية البحث:**

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في النظر إلى مدي عناية السنة النبوية بخلق العفة وتأثيره في حياة الفرد والمجتمع، لذلك فالإشكالية التي يعالجها هذا البحث ويهدف إلي الإجابة عليها تتلخص فيما يلي:

– ما المقصود بالعفة؟

- إلى أي مدى اعتنت السنة النبوية الشريفة بهذا الخلق؟

- ما هي الاثار المترتبة لخلق العفة في حياة المسلم؟

- **حدود البحث:**

يتناول هذا البحث دراسة خلق العِفّة من خلال تخريج عدد من الأحاديث الواردة فيه مع شرحها وتحليلها وبيان آثر هذا الخُلُق في حياة المسلم.

- **أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى:

- إبراز أهميّة خُلق العِفّة ودوره في تزَّكية النفس وبناء شخصيّة المسلّم المتوازنة والمتَّماسكة.

- إبراز الآثار الإيجابية لخلق العفة في حياة المسلم.

- **منهج البحث:**

أما منهج البحث فقد اعتمدت على منهجين أساسيين.

أولهما المنهج الاستقرائي تمثل في استقراء الروايات من أصولها نظرا لطبيعة البحث التي تفرض جمع جملة من الأحاديث.

وثانيهما المنهج التاريخي من خلال استرداد النصوص والوقائع التاريخية.

- **خطة البحث:**

وقد جاء البحث في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما في **المقدمة** فقد تطرّقت إلي تحديد الموضوع بصفَّة عامة، ثم صُغْتُ إشكالية البحث، وحددت أهمية البحث وأسباب اختياره، ثم تطرّقت إلي أهداف البحث والمنهج المتبع

المبحث الأول: ماهية العفّة

المطلب الأول: ماهية العفة لغة.

المطلب الثاني: المدلول الاصطلاحي للعفة.

المطلب الثالث: أنواع العفة.

المبحث الثاني: أحاديث العفّة جمعًا ودراسة وتخريجا

المطلب الأول: العفة سبب من أسباب الرزق.

المطلب الثاني: العفة سبب للترفع عن سؤال الناس.

المطلب الثالث: العفة سبب في ثواب المتصدق.

المبحث الثالث: أثر خلق العفة في حياة المسلم.

المطلب الأول: العفة ودورها في تقوية الجانب الروحي والنفسي للمسلم.

المطلب الثاني: العفة تساهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي للمسلم.

المطلب الثالث: مساهمة العفة في حفظ الجانب الاقتصادي للمسلم.

المبحث الأول: ماهية العفّة

ان من مستلزمات الفهم السليم، والإدراك الرشيد للقضية المطروحة على بساط هذه الدراسة، التحديد الدقيق للمصطلحات والمفاهيم، انبثاقا من أساسها اللغوي، وما يرتبط بها من دلالات ومعاني، مرورا بالمدلول الاصطلاحي، إذ أن الناظر والمتفحص للمعاجم العربية واللغوية يجد أن مصطلح العفة من المصطلحات المتداولة في تأليف الكثير من المؤلفين والدارسين ومن هنا كان لابد من البحث في ماهيته من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

المطلب الأول: ماهية العفَة لغة:

وعرّفها ابن فارس فقال" (أعفّ)العين والفاء أصلان صحيحان أحدهما الكَّف عن القبيح، والآخر دال على قلة شيء فالأول العِفّة الكف عما لا ينبغي. ورجل عفّ وعفيف، وقد عفّ يعفّ[عفّة]وعفا، والأصل الثّاني العفّة بقية اللّبن في الضّرع، وهي أيضا العفَّافة".[1]

والعفّة: الكّف عما لا يحل ويجمل، عفّ عن المحارم والأطماع الدينيّة، يعفّ عفّة وعفّا وعفّافا وعفّافة فهو عفيف وعفّ، أي: كفّ[2].

عرفَّها القاضيّ عياض حيث قال(ع.ف.ف) قوله: فيطلبه في عفَّاف وعفيف متعفف وربطها تعفّفا وأسألك العفّاف والغنىّ ومن يستعفف يعفّه الله واعفّوا إذا عفَّكم الله العفّة الكف عما لا يحل ورجل عفَّ بين العفَّاف والعفَّافة بالفتح والعفَة بالكسر وقيل تعفُّفا عن السُّؤال، هو تأويلهم في قوله اليد العليا المتعَّففة على رواية من رواه وقيل عفيف متعفف ذو عيال، أيّ عفيف عمَّا لا يحل متَّعفف عن السُّؤال، وقوله اعفواً إذا عفَّكم الله أي أتركوا الكسب الخَّبيث وعفّوا عنه إذ وسع الله عليكم وأغنَّاكم وعليه يدل الحديث وما قبل الكلام وما بعده أنه في المطَّاعم والمال وقد يحتمل أن يكون معناه إذ أخرجكم من فجور الجاهليَّة إلى عفَّاف الإسلام فالتّزموا العفَّة في كل شيء، وقوله ويأمر بالعفَّاف معناه هنا ترك الزِّنى والفجور وقوله ومن يستعفف يعفُّه الله أيّ من عفّ وجهه عن السُّؤال يعنه الله ويرزقه من حيث لا يحتسب.[3]

وأعفَّه الله واستعف عن المسألة أي: عفّ، وتعفّف أي: تكلّف العفَة[4].

وفي العموم العفَّة إذن هي الابتعاد وتجنب كل فعل قبيح دعانا المشرع إلى تجنبه وعدم الإقتراب منه وهي أيضا كل ما استهجنته الفطرة الإنسَّانية، فأيّ إنسان فطرته يمكن له التميز بين الحلاّل والحرام، والعفَّة لا تنحصر فقط في حفظ شهوة الفرج، بل تتعدى هذه الزَّاوية لتشمل جوانب أخرى من حياتنا اليومية، مثل الإلحاف في السّؤال والطّمع، والنظر إلى ما في يد النَّاس، فهذه الأمور تقدح في مروءة المسلم، وتجعل منه عالة على المجتّمع إذ أنَّه يسعى إلى نيل كل ما يرغب فيه دون سعي ولا مجهود يبذل، فالعفّة ضبط النفس عن كل ما حرمه الله في محكم تنزيله، وقد اقترنت العفَّة بالصّوم ارتباطا وثيقا،

تطرّق ابن منظور إلى هذه النقطَّة فقال: ليضبط نفسه بمثل الصّوم فهو له وجاء.[5]

فالعفَّة تقترن بالصَّوم الّذي يهذب النفس، والصائم هو من يمسك عن شهوتي البطن والفرج، وقد روى مسلم حديثا جاء فيه:"وقد جعل الله الصيام وجاء وجنَّة".[6]

---

[1] -ابن فارس:(أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة 1399ه-1979، 4 /3.

[2]-ابن منظور:(جمال الدين محمد بن مكرم بن عليّ)، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت-لبنان، د، ط، 253/9.

[3]- أبو الفضّل (عياض بن موسيّ بن عمرو اليحصبيّ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار،د ت، المكتبة التيقة ودار التراث، د ط، 97/2.

[4]- الفارابيّ:(أبو نصر إسماعيل بن حماد بن الجوهريّ)، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق عبد الغّفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407ه-1987م، 1405/4.

[5]- ابن منظور، لسّان العرب، 253/9.

[6]- مسلم:(مسلم بن حجاج القشيريّ النيسابوريّ)، مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله علّيه وسلّم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقيّ، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، كتاب الصّيام، باب فضل الصيام، ح ر(1151)، 806/2.

وبالصّوم أيضا تتحقق فضيلة الصّبر، حيث أخرج التّرمذي حديثا جاء فيه أنّ النّبيّ(صلى الله عليه وسلم) قال: الصَّوم نصف الصبر".[1]
ونستنتج من هذا أنَّ العفّة في اللُّغة هي ترك لما حرمه الشرع ونبّذته الفطرة السَّوية، وتجنب لكل الأشياء القبيحة، وعدم التّطلّع إلى ما لا يحمد عقباه، ولا تتّحقق العفَّة إلّا بارتباطها بالّصبر الّذي يكبل كل شهوات النفس ويهذبها.

المطلب الثاني: المدلول الاصطلاحي للعفة

وعرفها الجرجانيّ قال: *هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور، الّذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الّذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة*[2].
فالعفَّة حسب الجرجانيّ هي قدرة الإنسَان على ضبط هوى النفس، وفق ما دعت إلّيه الشَّريعة الغرّاء.
وعرَّفها الرّاغب الاصفهانى فقال"العفَّة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشّهوة، والمتّعفف المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، وأصله الاقتصار على تناول الشّيء القليل مجري العفّافة"[3].
الأصفهاني أشار إلى أنَّ سجية العفَّاف ليست بالأمر السهل، بل هي نوع من جهاد النفس، فالممارسة هي الّتي تجعل المسلم يكتّسب ملكة العفَّاف، وهذا لا يكون إلّا بالمواظَبة والقهر، من خلال خوض صراع مع النفس والسَّيطرة على رغباتها وشهواتها الّتي تنزل الإنسان إلى مرتبة الحيوانية وتجعله أسفل السافلين، فالنفس بمثابة الفرس الجموح إن لم تكبح عنان رغباتها أوصلت صاحبها المهالك والمتّاعب، وقد تطّرق محمد رشيد رضا إلى تعريف العفّة فقال: "ترك ما لا ينبغي من الشَّهوات، أو ملكة في النفس تقتضي ذلك، وطلبها يكون بالتعفف وهو تكلّف العفَّة المرة بعد المرة، حتّى تستحكم الملكة في النفس بالتكرار، والممارسة كسّائر الأخلاق والملكات المكتسّبة بالتربية"[4].
ممَّا سبق يتّضح لنا أنَّ العفَّة هي القدرة القّوية على كبح عنان الشَّهوة، ومقاومة لما تزينه النفس وتستّسهله من محرمات وكبائر، هي الكَّف عن كل ما لا يليق بمسلم، بغية نيل الثواب والأجر من عند الله سبحانه.

المطلب الثالث: أنواع العفة

قال الماورديّ- رحمه الله تعالى-: العفَّة والنّزاهة والصّيانة من شروط المروءة، والعفَّة نوعان: أحدهما العفَّة عن المحارم، والثّاني العفَّة عن المآتم، فأمّا العفَّة عن المحارم، فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثّاني كفّ اللّسان عن الأعرّاض... وأمّا العفَّة عن المآثم فنوعان أيضا: أحدهما: الكفُّ عن المجاهرة بالظّلم، والثّاني: زجر النّفس عن الإسرار بخيانة. ".[5]
وكذلك قسم الاصفهانيّ العفَّة إلى أربعة أقسام حيث جعل لكل حاسة من الحواس مقدارا محددا من العفّاف حيث قال:"ولا تتم عفَّة الإنسان حتّى يكون عفيف اليد واللّسان والسَّمع والبصر"[6].
وقد وضع ابن حزم حدودا للعفَّة فقال: "حَدُّ العِفَّة أَن تغضّ بَصرك وَجَمِيع جوارحك عَن الْأَجْسَام الَّتِي لَا تحل لَك فَمَا عدا هَذَا فَهُوَ عهر".[7]
العفَّة إذن مطلب إسلامي عظيم، يهذب النفوس ويطهر القلوب، وإذا ما فقد المرء خلق العفَّة أصبح كالبهيمة لا غاية له سوى إتباع الشَّهوات وحصوله على ملّذات بأيّ طريقة، حتّى ولو خسر دينه وعرضه

---

[1]- الترمذيّ:(محمد بن عيسي بن سورة بن موسيّ الضحاك)، سنن الترمذيّ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض مدرس في الأزهر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابيّ الحلبيّ –مصر، ط2، سنة1355ه-1975م، كتاب الدعوات باب فيه حديثان التسبيح نصف الميزان، ح ر(3519)، 536/5.
[2]- الجرجانيّ: (علي بن محمد بن علي الزين)، كتاب التّعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1403ه-1983، 151.
[3]- الإصفهانيّ: (أبو القاسم بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان المداوديّ، دار القلم الدار الشامية دمشق بيروت، ط1، سنة1412ه، 53.
[4]- رشيد رضا: (محمد بن رشيد بن علي رضا)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتب، د، ط، 310/4.
[5]- الماورديّ:(أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، سنة، 1986م، 390/384.
[6]- الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجميّ، دار السلام- القاهرة، د.ت، 1428 هـ - 2007 م، 224.
[7]- ابن حزم :(أبو محمد علي أحمد بن حزم الأندلسي)، الأخلاق والسير في تهذيّب الأخلاق، د،ت، دار الأفاق الجديدة-بيروت، ط2، سنة 1399ه- 1979، 33.

ونفسه وماله وعمله وأهله ودنياه وآخرته ونستخلص من التعريفات أن خلق العفَّة هو عبارة عن ملكة يمتلكها من يستطيع السَّيطرة على زمام نفسه الّتي بين جنبيه، وهذا الخلق يحمل بين طياته الكثير من الأخلاّقيات الأخرى الّتي لا تقل أهميتها. فتارة تقترن العفَّة بالصبر، وتارة أخرى يرتبط بالحياء والورع، فالعفّة أصل لكثير من الأخلاّقيات الّتي تتَّفرع عنها.

المبحث الثاني: أحاديث العفة تخريجا وجمعا و دراسة

وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان فضل أهمية خلق العفة نذكر منها.

المطلب الأول: العفَة سبب من أسباب الرزق

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النّبيّ(صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها إلى التّنور فسجرته ثم قالت: اللّهم ارزقنا، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التّنور فوجدته ممتلئا، قال: فرجع الزوج، قال: أصبتم بعدي شيئا؟ قالت إمرأته: نعم من ربّنا، قام إلى الرحى، فذكر ذلك للنّبيّ(صلى الله عليه وسلم) فقال "أما إنه لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة" وشهدت النبيّ (صلى الله عليه وسلم) وهو يقول: "والله لأن يأتي أحدكم صبيرا[1] ثم يحمله يبيعه فيستعف منه خير له من أن يأتي رجلا يسأله".

أخرجه أحمد في "مسنده"(384/16)رقم(11060).[2] وصححه الألبانيّ في" السلسلة الصحيحة " (1051/6) رقم (2937)[3].

يتناول هذا الحديث خلق التّعفف من خلال عرض تطبيق عملي لها، وهو قصَّة المرأة المتعّففة التي أخذت بالأسّباب فرزقها الله من حيث لا تحتسب، قال الملاّ عليّ القاريّ: "(فلما رأت امرأته) أي: خلو يد الرجل وإدباره عن الأهل من الحياء والخجل(قامت إلى الرحى فوضعتها)أي: الطبقة العليّا على السفلّى، والمعنى فهيأتها ونظفتها، (وإلى التّنور فسجرته)، بتخفيف الجيم وتشديد أي أوقدته(ثم قالت): فيه إشَّارة إلى أنّ العبد يسعى في طلب الحلال ما أمكنه الوقت، ويقتضيه الحال، ثم يستعين في تحصيل أمره إلى الملك المتعال بالدعاء بنحو: (اللّهم ارزقنا)أي: من عندك فإنك خير الرَّازقين، وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع إلَّا في خيرك (فنظرت) أي: إلى الرَّحى(فإذا الجفنة) وهي القصعة على ما في القاموس أو القصعة الكبيرة على ما في خلاصة اللُّغة، والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق(قد امتلأّت) أي: منّ الدقيق (قال)أي: الراويّ(وذهبت): وفي نسخة صحيحة: فذهبت(إلى التَّنور)أي: لتخبز فيهمن الدقيق بعد عجنه(فوجدته ممتّلئا)أي: من الخبز الملتَّصق به(قال): أي: الراويّ (فرجع الزَّوج أي: راجيا لما قام بأمر الله داعيا(قال)أيّ: الزوج وهو استئناف بيان(أصبتم)أي: أكلتم أو حصلتم (بعدي شيئا)أي: من الأشَّياء أو من الإصابة(قالت إمرأته: نعم)أي أصبنا (من ربنا)أي: من عند ربنا أو من رزقه وما أخطأنا، وأغرب الطيبى-رحمه الله في قوله: لله ارزقنا حيث قال: دعت أن تصيب زوجها بما تطحنه وتعجنه وتخبزه، فهيأت الأسباب لذلك، (وقام)أي: فتعجب الزوج وقام(إلى الرحى)أي: ورفعها ليرى أثرها (فذكر): صيغة المجهول، وفي نسخة صحيحة فذّكر أي: هو بنفسه(ذلك)أي: ما ذكر من القضية بتمامها للنّبيّ(صلى الله عليه وسلم) فقال: "أما"): بالتخفيف للتنبيه ("إنه") أي: الشَّأن(لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة)".[4]

والمستفاد من هذا الحديث أنّ التعَّفف خلق كريم يورث فيه التّوكل على الله والاعتصام به ويشحذ همته للأخذ بالأسباب في طلب الرزق والسعي لذلك، وفيه أيضا دليل على تقبل الله دعاء عباده المؤمنين الصالحين، فهذه المرأة الّتي تعفّفت واستغنت عن السّؤال لتيقنها بأن الله تعالى قادر مقتدر، وبأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء في هذا السِياق يقول الإمام عليّ: الرّزق نوعان: "رزق يطلبك ورزق

---

[1] - قوله صبيرا بكسر صاد وسكون ياء، يقال صبيرا لقوم زعيمهم المقدم في أمورهم، والجمع صبراء، والصبير سحاب الأّبيض الّذي يصير بعضه فوق بعض، انظر لسان العرب لأبن منظور، ج 4، ص439.

[2]- ابن حنبل، المسند، 384/16،

[3]- زهويّ:(أبو عبد الله الدانيّ بن منير)، سلسلة الاثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، دار الفاروق للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، سنة 1424ه-2003م، ح ر(2937)،1051/6.

[4] الملاّ القاريّ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 2329/8.

تطلبه، فأما الذي يطلبك طلب الحلال ما أمكنه الوقت، ويقتضيه الحال، ثم يستعين في تحصيل أمره إلى الملكا المتعال بالدعاء".[1]

فعِّفة هذه المرأة بصبرها واستّغنائها عن النَّاس وتوكلِّها على الله وحده هو الّذي جلب الرزق لها، وأغناها عن سؤال النّاس، وما يتبعه من الذُّل والمهانة، فما أحوجنا اليوم إلى هذا الصنيع، فعديد المشَّاكل الاجتماعية بسبب الفقر والحاجة وعدم الاجتهاد في طلب الرزق، هو ما قد يؤثر على نفسية الإنسان ويشعره بالفشل في الحياة، لكنّ المتَّأمل في قصة هذا الرجل الفقير الّذي ذهب إلى البرية متوكلا على الله ومخلصا في نيته، ومن صدقه وصدق زوجته رزقهم الله تعالى فالتعَّفف عن المسألة من أسباب الرزق.

المطلب الثاني: العفَّة سبب للترفع عن سؤال الناس

عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال: "سرحتني أمي إلى رسول (صلى الله عليه وسلم): ، فأتيته وقعدت فإستقبلني وقال: "من استغنى أغناه الله عزّ وجل، ومن استعَّف أعفّه الله عزّ وجل، ومن استكفى كفاه الله عزّ وجل، ومن سأل وله قيمة أوقية، فقد ألحفّ، فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت ولم أسأله".

أخرجه أحمد في"مسنده"(17/ ص114)رقم (11060)[2]، والبيهقي في "السنن الكبرى"(38/7) رقم(13210)[3]. وحسنه الألبانيّ في "السلسلة الصحيحة "(399/5)رقم (2314)[4].

يتناول هذا الحديث نموذجا آخر من نماذج التعَّفف عن المسألة وما تورثه في قلب المؤمن من صفات التَّوكل والاعتصام بالله تعالى والاستغناء عمن سواه، قال المناويّ: "مقصود الحديث الإشَّارة إلى أنّ في طلب الرزق من باب المخلوق ذلا وعناء وفي طلبه من الخالق بلوغ المنى والغنى، قال بعض العارفين: من استغنى بالله افتقر الناس إليه.

قف بباب الواحد. . . تفتح لك الأبـــواب.
واخضع لسبب واحد. . . تخضع لك الرقاب.

هذا وربنا يقول ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾[5].

والمستفاد من الحديث أن المستغني عما سوى الله يغنيه الله تعالى ويعطيه ما يستغني به عما سواه، ويورث في قلبه غنى النفس ليكون من أغنى النّاس، وأما لمستعف الّذي أعفَّه الله فهو الممتنع عن سؤال النّاس فلا يسأل إلا مولاه سبحانه وتعالى وثوابه أنّ الله يعفُّه ويجازيه خيرا كثيرا على استعفافه، قال المناويّ: "(أعفَّه الله) بتشديد الفاء أي جازاه الله على استعفافه بصيانة وجهه ودفع فاقته".[6]

فالتعّفف خلق عظيم يحمي المؤمن من سؤال النّاس وما يتبعه من الذُّل والمهانة، وربما الاحتقار وهو ما يجعل منه عنصرا سلبيا في المجتمع لا قيمة له ولا مكانة، في حين يعلي التعَّفف من مرتبة صاحبه ويرفع درجته بين النّاس ويقربه من الله الّذي لا يستغني عنه وعن سؤاله ليكون عنصرا فاعلا في مجتمعه

المطلب الثالث: العفَّة سبب في ثواب المتصدق

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قال: "قال رجل: لأتصدَّقنَّ بصدقة، فخرج بصدقته، فوضعها في يد سارق، أصبحوا يتحدثون: تصدَّق على سارق فقال: اللَّهمَّ لك الحمد، لأتصدَّقنَّ بصدّقة، فخرج بصدّقته فوضعها في يدي زانية، فأصبحوا يتحدثون: تصدِّق اللّيلة على زانية، فقال: اللَّهمَّ لك الحمد، على زانية؟ لأتصدَّقنَّ بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يدي غنيٍّ، فأصبحوا

---

[1] - القاري:(محمد أبو الحسن نور الدين الملا القاري)، مرقاة المفاتيح، دار الفكر بيروت، ط1، سنة 1421ه-2002م، 2329/8.

[2]- أحمد ابن حنبل: (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل متوفي 241ه)، مسند الإمام أحمد لين حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1421،1ه-2001م، ح ر(11060)، 114/17.

[3]- البيهقيّ :(أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنّن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3 ، 1424ه-2003م، كتاب قسم الصدقات باب لا وقف في ما يعطي للفقراء والمساكين ح ر(3210)، 38/7.

[4]- أبو عبد الله زهويّ، سلسلة الاثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، دار الفاروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سمة 1424ه- 2003م، 297/4و 401/5.

[5]- الحجر، الآية21.

[6]_ المناوي، فيض القدير، ح ر(8421)، 58/ 6.

يتحدثون: تصدق على غنيٍّ، قال: اللَّهمَّ لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غنيٍّ، فأتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعلَّه أن يستعفَّ عن سرقته، وأما الزانية فلعلَّها أن تستعفَّ عن زناها، وأما الغنيُّ فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله "

أخرجه البخاريّ في "صحيحه" (110/2) برقم (1421).[1]ومسلم في "صحيحه" (709/2)رقم (1022)[2].

يعدّ هذا الحديث من أجل الأحاديث الواردة في التعّفف، وذلك لبيانها ثواب المتَّصدق بنية إعفاف المتصدق عليه فهذا الرجل الذي رآه النبيّ (صلى الله عليه وسلم) في المنام قد تصدّق على زانية وسارق بنية تعّففهما عن الزّنا والسَّرقة وعلى الغنيّ عسى أن يعتبر فيتصدق هو أيضا بما أنعم الله عليه من المال، ولما كانت النيَّة خالصة لوجه الله الكريم قبلها منه، قال ابن بطال: قال المهلب: قوله في الحديث: (فأتى فقيل له: أمّا صدقّتك على سارق...) إلى آخر الحديث، يعنى أنه أرى ذلك في المنام، والرؤيا حق. وقوله: (فلعلّه أنّ يستعفَّ عن سرقته) فإن لعلّ من الله على معنى القطع والحتم، ودلّ ذلك أن صدّقة الرجل على السارق والزانية والغني قد تقبلها الله، لأنـها إذا كانت سببا إلى ما يرضي الله فلا شك في فضلها وقبولها".[3]

والملاحظ هنا أن الحديث فيه إشّارة دقيقة مفادها أن السَّارق والزّانية إنما يفعلان ذلك غالبا بسبب الحاجة وتردي حالتهم الاجتماعية، ولهذا قال علىّ القاريّ: ("أما صدّقتك على سارق) فلا تخلو عن مثوبة متضمنة لحكمة (فلعله أن يستعفّ عن سرقته) إما مطلقا أو مدة الاكتفاء (وأما الزآنية فلعلّها أن تستعفَّ عن زناها) وفيه إيماء إلى أن الغالب في السَّارق والزَّانية أنهما يرتكبان المعصية للحاجة وهو أحد معاني ما ورد: كاد الفقر أن يكون كفرا".[4]

ففي هذا الحديث ارتباط وثيق بين العمل والنية وأن قبول الأعمال عند الله يكون على قدر التجرد من كل أسباب الرياء وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): "إنما الأعمال بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".[5]

ومن الآثّار الحميدة المستّفادة من هذا الحديث أنَّ المتّصدقَّ مأجور لا محالة مهما كان حال الشخص المتّصدقُّ له، مؤمن أم عاص. وفي ذلك دليل على سماحة الإسلام ورفقه بالعصاة ودفعه نحو حسن معاملتهم والسعي لإيجاد الحلول لمشّاكلهم من خلال تتبع الأسباب المؤدية إلى وقوعهم في المعاصي، كما هو الشأن في هذا الحديث الّذي أورد ثوابا عظيما لمن تصدق على زانية وسارق بنية عفافهما فساهم بذلك في ترسيخ ثقافة التَّعفُّف والاستغناء.

المبحث الثالث: أثر خلق العفَّة في حياة المسلم

العفَّة هي خلق نبيل يعبر عن نفس سوية تقية، من أهم الأسباب المباشرة الّتي تدفع المسلم إلى بلوغ درجة الكمال والفضيلة، بل هي تعد رأس مكارم الأخلاق فلا يتصف بهذا الخلق إلا من كانت سجيته كريمة كالأنبياء الله وعباده الصالحين من بين العلامات الدَّالة على صدق إيمان الإنسان بربّه فكلما كان العبد متّصفا بالعفَّة إلّا وتجنب كل ما تنبذه فطرته السَّوية فالعفيف هو الّذي لا يتجاوز المبيحات الّتي شرعها الله عزَّ وجل وبغيته في ذلك نيل ثواب الله، فالعفَّة بمثابة سلاح الّذي يقاوم أهواء النفس ويحد من جبروتها فهو الّذي يوصل النفس إلى طور السّمو الروحي.

ومن تأمل كتاب الله المنزل حق التّأمل، تراءى له أنّ القرآن الكريم جاء ليصلح الأخلاق من كل الأدنّاس والرّذائل فحثّ على التّمسك بخلق العفَّة .

---

[1]- البخاريّ:(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة، ط1، سنة1422ه، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق علي غني وهو لا يعلم، ح ر(1421)، 110/2.

[2]- مسلم الصحيح، كتاب الزكاة، باب ثبوت أجر المتّصدق وإذا وقعت في غير أهلها، ح ر(1022)، 709/2.

[3]_ ابن بطال:(أبو الحسن عليّ بن خلف)، شرح صحيح البخاريّ لأبن بطال، تحقيق ابو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر مكتبة الرشد السعودية، ط2، 1423ه 2003م، باب إذا تصدق علي غني وهو لا يعلم، 422/3.

[4]_ الملاّ القاريّ، مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح ، 3329/3.

[5]- محمد سالم:(عطية بن محمد سالم)، شرح الأربعين النّوويّة، مصدر الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، د.ط، 2/1.

وكذلك من درس سيّرة رسول الله(صلى الله عليه وسلم)على أكمل وجه وجعلها نصب عينيه يرى جانبا مشعا لأثر هذا الخلق الإسلامي العظيم، ففي أغلب هذه النّصوص قد وجه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصحابة إلى هذا خلق وحثهم على ضرورة تمسكهم به، فقد استفاضت أحاديث عدة بتعظيم خلق العفَّة، فالعفَّة تعد أبرز قيمة حافظة لبصمة الإنسان الأخلاقية في هذا الوجود، ومما لا شك فيه أنَّ كل الديانات السماوية تدعم خلق العفَّة وتحث على ضرورة التحلّي والتّمسك به وتندّد بمن تسول له نفسه أن يهتك سياج العفَّاف، بل إن القوانين الوضعية هي الأخرى حرمت من حاول أن يخدش العفَّاف، فهتك العفَّاف مؤذن خراب العمران، قال تعالى في محكم تنزيله:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.[1]

فالله زكى لنا هذا الخلق لنحافظ على الأسرة والمجتمع على حد السواء، فبقدر انتشار العفَة في المجتمع يتحقق الأمن بين أبناء المجتمع الواحد، أما في غيابها فتحدث الطامة الكبرى حيث تتفشى الفواحش الّتي بدورها تجلب الذل والهوان للمجتمعات، فواقعنا اليوم طغت فيه المعاصي والأهواء على مختلف الأصعدة، فما أحوجنا اليوم إلى أن نذكر بفوائد العفَّة العظيمة، فالعفَّة سبب في الفوز بجنّة عرضها السماوات والأرض ومصداق هذا قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم):"عرض عليّ أوّل ثلاثة يدخلون الجنّة، وأوّل ثلاثة يدخلون النّار، فأمّا أوّل ثلاثة يدخلون الجنّة: فالشّهيد، وعبدٌ مملوكٌ أحسن عبادة ربّه ونصح لسيّده، وعفيفٌ، متعفّفٌ ذو عيال."[2]

وكذلك بين الرسول(صلى الله عليه وسلم) أنَّ كل من يعفَّ لسانه عن القول الفاحش ويحفظ فرجه عن كل ما حرمه الله مصيره دخول الجنّة حيث قال قدوتنا:"من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنّة."[3]

إضافة إلى ذلك العفَّة هي مفتاح دخول الجنَّة للمرأة المسلمة "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها:"ادخلي من أي أبواب الجنّة شئت".[4]

وقد قال بعض أهل العلم كـابن بطَّال وغيره:" إن أعظم الشرور والبلاء إنَّما تقع من اللّسان والفرج، فمن حفظ لسانه إلّا فيما أمر به، وحفظ فرجه إلّا فيما أبيح له فهذا ضمن النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) له الجنّة، ومن لم يتوق شر لسانه ولا شر فرجه -عياذاً بالله- فهذا وقع في المهالك، وقارب على الهلاك، وكاد أن يضيع".[5]

وفى رواية أخرى قال أيضا(صلى الله عليه وسلم):"اضمنوا لي ستّا من أنفسكم أضمن لكم الجنّة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم."[6]

وتعدَ العفَّة من مظاهر تلبية لنداء الرَّحمن قال تعالى﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.[7]

ونضيف إلى هذا أنّ العفَّة هي الّتي تجعل الفرد ينأى بنفسه عن ممارسة الحرام بمختلف صوره وأشكاله، كذلك تعد سببا مباشرا في نيل مغفرة الله تعالي وهذه المغفرة يترتب عنها دخول الجنّة يوم البعث قال تعالى﴿انَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَٰتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْقَٰنِتَٰتِ وَالصَّٰدِقِينَ وَالصَّٰدِقَٰتِ وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰئِمِينَ وَالصَّٰئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.[8]

---

[1] - النحل، الآية 112.

[2] - الحاكم، المستدرك علي الصحيحين، كتاب الزكاة، ح ر (1429)، 544/1.

[3] - البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب حفظ اللّسان، ح ر (6474)، 100/8.

[4] - ابن حبان، صحيح ابن حبان مخرجا، باب معاشرة الزوجين، ذكر إيجاب الجنة للمرأة إذا أطاعت زوجها مع إقامة الفرائض، ح ر (4163)، 471/9.

[5]- المغماسيّ :(أبو هشام صالح بن عواد)، شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاريّ، 5/3.

[6]- الألبانيّ :(أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانيّ)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، د،ت، المكتب الإسلامي، د،ط، ح ر(1018)، 234/1.

[7]- النور، الآية 31.

[8]- الاحزاب، الاية 35.

وقد بين ابن كثير في تفسيره أن أجر هؤلاء الإثبات الصالحين هو دخول الجنّة فقال:" أعدّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنّة."[1]

إلى جانب ذلك تحرم عين المتعفف عن النار جزاءا لصنيع فعله وفي هذا السياق قال عليه صلوات ربّي وسلامه :"ثلاثّة لا ترى أعينهم النّار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفّت عن محارم الله."[2]

بالعفَّة ينجو المؤمن يوم الحشر يوم لا ينفع مال ولا بنون إذ أنه يكون في ظل عرش الرحمان، فالله يشرف العفيفين بأن يجعلهم في ظله عرشه ومصداق هذا ما قاله رسولنا المجتبىّ(صلى الله عليه وسلم):"سبعةٌ يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ بعبادة الله، ورجلٌ قلبه معلّقٌ في المساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصب وجمال، فقال: إنّي أخاف الله، ورجلٌ تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه".[3]"

فخوف هذا الرجل من ربّه منعه من الإقدام على تلبية نداء هذه المرأة، فهذه المرأة وحسب ما ورد في هذا الحديث ذات منصب وجمال وهاتان الصفتان تجعل منها مستجابة الدعوة من قبل الكثيرين إلّا أنَّ هذا الرجل المتعففَ لديه حاجز نفسي تربوي قوي جعله يسمو روحيا عن السقوط في هذه المتَّاهات، وتعدَ العفَّة كذلك من أقوى الأسباب الّتي يستجاب بفضلها الدعاء وتفريج الكرب، في هذا الإطار قال تعالى ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[4].

إن الإنسان العفِّيف مجاب الدعوة فهو بذل جهدا في عفَّة نفسه في وقت كان قربه من الحرام أقرب ما يكون ومن ذلك حديث الرسول(صلى الله عليه وسلم)في رواية ناطقة بجمال العفَّاف عن أصحاب الكهف حيث قال: "انطلق ثلاثة رهط ممّن كان قبلكم حتّى أووا المبيت إلى غار، فدخلوه فانحدرت صخرةٌ من الجبل، فسدّت عليهم الغار، فقالوا: إنّه لا ينجيكم من هذه الصّخرة إلّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجلٌ منهم: اللّهمّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعبق قبلهما أهلًا، ولا مالًا فنأى بي في طلب شيء يومًا، فلم أرح عليهما حتّى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت والقدح على يديّ، أنتظر استيقاظهما حتّى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللّهمّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرّج عنّا ما نحن فيه من هذه الصّخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: " وقال الآخر: اللّهمّ كانت لي بنت عمّ، كانت أحبّ النّاس إليّ، فأردتها عن نفسها، فامتنعت منّي حتّى ألمّت بها سنةٌ من السّنين، فجاءتني، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلّي بيني وبين نفسها، ففعلت حتّى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحلّ لك أن تفضّ الخاتم إلّا بحقّه، فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحبّ النّاس إليّ، وتركت الذّهب الّذي أعطيتها، اللّهمّ إن كنت فعلت ابتغاء وجهك، ففرج عنّا ما نحن فيه، فانفرجت الصّخرة غير أنّهم لا يستطيعون الخروج."[5]

فالعفَّة تقترن اقترانا واضحا بالفلاح ودليل ذلك ما جاء في القرآن الكريم" ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ وَالذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾.[6]

وقد جاء في تفسير هذه المعاني القرآنية قال سيد قطب "تلك الخصائص تحدد شخصية المؤمنين المكتوب لهم الفلاح. وهي خصائص ذات أثر حاسم في تحديد خصائص الجماعة المؤمنة ونوع الحياة الّتي تحياها. الحياة الفاضلة اللاّئقة بالإنسان الذي كرمه الله وأراد له التّدرج في مدارج الكمال".[7]

---

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 375/6.

[2]- المناوى، فيض القدير،ح ر (6338)، 323/3.

[3]- مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح ر (1031)، 715/2.

[4]-النور، الآية، 33.

[5]- البخاريّ، الصحيح الجامع، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو عما في مال غيره، ح ر(2272)، 91/3.

[6]- المؤمنون، الآيات، 5/4/3/2/1./.

[7]- سيد قطب: (ابراهيم حسين الشاربي متوفي 1385ه)، في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت القاهرة، ط17، سنة 1412ه- 2457/4.

ونلفت النظر أنّ العفَّة تعد تاج و وقار لأهل الورع والزهد الّذين خيروا بإرادتهم أن يسيروا في طريق العفّاف فبعض الصالحين صرحوا بكونهم عاشوا عفيفين طول حياتهم ولم يرتكبوا فاحشة قط.

يروي القرآن قصة عفَّاف مريم في أبهي صورة فالعفاف أيضا اقترن بسيرة خير نساء الأرض اللّاتي شهد الله لهن بالعفَّاف ومن بينهن مريم ابنة عمران التي خلد اسمها في سير النساء العفيفات فبالعفة اتصفت مريم: فلما ذكر الله تعالى مريم امتدحها فقال﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1] وقد جاء في تفسير ابن عاشور:"والمراد بالقانتين: المكثرون من العبادة. والمعنى أنّها كانت سليلة قوم صالحين، أي فجاءت على طريقة أصولها في الخير والعفّاف."[2]

ولئن كانت المرأة العفيفة تحظى بمنزلة عالية تجعل الله لا يرده لها دعاءا إذا استنجدت وطلبت الغوث منه جزاء لما تميزت به بواطنهن من عفَّاف ، وكذلك تعد العفَّة عنوان الصلاح ومصداق هذا ما قاله عز وجل﴿فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[3].

والإنسان الغير متعفف يحرم من هذا الفضل الإلّهي لقوله عليه صلّوات ربّي:"أيّها النّاس، إنّ الله طيّبٌ لا يقبل إلّا طيّبًا، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، ثمّ ذكر الرّجل يطيل السّفر أشعث أغبر، يمدّ يديه إلى السّماء، يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرامٌ، ومشربه حرامٌ، وملبسه حرامٌ، وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب لذلك؟ ."[4]

فصفوة القول أنَّ العفَّة طريق مخالف لطريق العصاة الآثمين كما قال تعالى ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۝ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾.[5]

وزيادة على هذا تعد العفَّة من أسباب إعانة الله لعبده "قال رسول الله: (صلى الله عليه وسلم)" ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الّذي يريد الأداء، والنّاكح الّذي يريد العفّاف.[6]

والعفَّة تعد من أساسيات الدعوة المحمدية نظرا لكون الغاية الأساسية للبعثة هي إتمام مكارم الأخلاق فقد جاء في الحديث:"قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصّلاة والصّدق والعفّاف والصلّة."[7]

كذلك تعتبر العفَّة من خيار أخلاق فقد قال حبيبنا(صلى الله عليه وسلم)":أربعٌ إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدّنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفّةٌ في طعمه."[8]

والجدير بالذكر أن هذا الخلق الرفيع كان من بين أهم الوصايا الّتي يقدمها عباد الله الصالحين لأولادهم حيث أورد الدّراميّ في سننه قال:"أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا ابن عون، عن محمّد بن سيرين: " أنّه أوصى - ذكر ما أوصى به أو هذا ذكر ما أوصى به محمّد بن أبي عمرة - بنيه وأهل بيته أن اتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب أوصاهم أن لا يرغبوا أن يكونوا موالي الأنصار وإخوانهم في الدّين، وأنّ العفَّة والصّدق خيرٌ وأتقى من الزّنا والكذب."[9]

فالعفَّة تلعب دورا مهما في بناء شخصية المسلم من خلال ما يتشعب عنها من صفَّات محمودة وقد **ذكرها صاحب كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق قائلا:"الحياء** الدعة. الصبر السخاء الحرية القاعة الدماثة الانتظام، حسن الهدى. المسالمة الوقار الورع ".[10]

---

[1]- التحريم، الآية 12.

[2]- ابن عاشور، التحريروالتنوير، 378/28.

[3]- النساء، الأية، 34.

[4]- مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح ر (1015)، 703/2.

[5]- النساء، الآية، 28/27/26.

[6]- الترمذيّ، السنن، أبواب فضائل الجهاد، ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم، ح ر (1655)، 184/4.

[7]- بدر الدين العيبني، عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، المقدمة السادسة، 77/1.

[8]- أحمد ابن حنبل، المسند،ح ر (6652)، 233/11.

[9]- الدّارمي، مسند الّدراميّ، كتاب الوصايا، ما يستحب بالوصية من كلام والتشهد، ح ر(3226)، 2031/4.

[10] - مسكويه:"(أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف، ص29.

ممّا سبق نستفيد أنّه لا بد للمتعفّف أن يكون ملما بأخلاقيات الأخرى فكل خلق من هذه الأخلاق يؤدي إلى تنمية جزء من شخصية الفرد فهي تطهره وتنقيه من الذنوب الخطايا كما ينقي الثّوب الأبيض من الدّنس.

المطلب الأول: العفّة ودورها في تقوية الجانب الروحي والنفسي للمسلم

مما لا شك فيه أن الإنسان المتعفف يتمتع بشخصية مخالفة للغير، والفضل في ذلك يعود إلى قوة عزمه وإصراره على تجنب كل الفواحش الأخلاقية الّتي تقدح في مروءته وشخصه، فتشبعه من جل الأخلاق الّذي تربت عليه نفسه يجنبه السقوط في دائرة المحرمات،

فالفرد الكيس هو الّذي زان نفسه بتخصيص جزء من وقته لمحاسبة ما تمليه عليه نفسه على طوال اليوم من وساوس شيطانية فإن كانت أفعاله سويّة فطوبي له، وإن كانت على خلاف هذا فلا بد له أن يسارع إلي مرضاة ربه والتوّبة إليه، وما أجمل ما قاله الندوي:" وقد وقع في تاريخ الفتح الإسلامي من قضايا العفاف عند المغنم وأداء الأمانات إلى أهلها والإخلاص لله، ما يعجز التاريخ البشري عن نظائره، وما ذاك إلا نتيجة رسوخ الإيمان ومراقبة الله واستحضار علمه في كل مكان وزمان".[1]

والمسلم العفيف هو من يجزم بوجود ربّ يجازي علي صغار الأمور وكبيرها قال عز من قائل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[2]

فالإنسان العفيف صلته بربه تقوم بالأساس على الإيمان به ومحبته وشكره على نعمه، فالمتعفف يوقن أنّ الله على الدوام يراقبه، وهذا اليقين يجعل منه يسعى إلى مضاعفة جهده حتّى لا يصدر منه ما يغضب مولاه فالعفيف يجمع مع عفَّته صفة الورع، فالورع يجعل المسلم يترك صغائر الذنوب فعن واثلة بن الأسقع، قال:"تدانيت (صلى الله عليه وسلم) بمسجد الخيف فقال لي أصحابه: إليك يا واثلة، أي تنحّ عن وجه النّبيّ (صلى الله عليه وسلم)": فقال النّبيّ(صلى الله عليه وسلم): «دعوه إنّما جاء يسأل» قال: فدنوت، فقلت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله , لتفتنا عن أمر نأخذه عنك من بعدك، قال: «لتفتك نفسك» قال: قلت: وكيف لي بذلك؟ قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن أفتاك المفتون» قلت: وكيف لي بعلم ذلك؟ قال: «تضع يدك على فؤادك، فإنّ القلب يسكن للحلال، ولا يسكن للحرام، وإنّ الورع المسلم يدع الصّغير مخافة أن يقع في الكبير."[3]

ما يميز الشّخصية العفيفة هو كونها تعلم أن جميع الشّهوات زائلة، فالمتعففون يعلمون أن المال يفني والثّروة تبدّد، فقد صرح القرآن بهذا الأمر من ذلك قوله تعالى﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (24) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾.[4]

القرب من الله يحقق استقرار روحي ونفسي، وهذه الأمان الداخلي والطمأنينة لا يمكن لأي قوة أن تزيحه ذلك أنَّ المسلم العفيفَ روحه ونفسه تحلق في علياء الفضيلة، فمن هذا الجانب يتعالى الإنسان عن شهواته الصَّارخة، بل لا يعير لها اهتماما بالمرة، فقوة الإيمان تدفع بالمرء إلى تجنب اقتراف بعض الكبائر لهذا قال الرسول عليه صلوات ربي وسلامه :"لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق السّارق حين يسرق وهو مؤمنٌ."[5]

العفة تستمد حضورها في حياة الفرد من خلال قوة إيمانه وسلامة حواسه وجوارحه، فالمؤمن العفيف يتجنب كل الطرق المشبوهة الّتي لا يمكن إلا أن تحط من آدميته، قال(صلى الله عليه وسلم):"إنّ الحلال بيّنٌ، وإنّ الحرام بيّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهنّ كثيرٌ من النّاس، فمن اتّقى الشّبهات ستبرأ لدينه، وعرضه، ".[6]

هذه الطرق مشوبة بالخزي والعار وسوء المنقلب، فالزّنا من أعظم البلايا الّتي باتت تهدد الفرد المسلم، فالإنسان العفيف هو الّذي يطبق ما جاءت به سنَّة الرسول(صلى الله عليه وسلم) ويجعل أحاديثه الدأّعية

---

[1] - الندويّ:(علي أبو الحسن فخر الدين)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، د،ت، مكتبة الإيمان منصورة مصر، 88/1.

[2]- ق، الآية 16.

[3]- أبو يعلى:(أبو يعلى أحمد بن علي الموصليّ)، مسند أبي يعلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث-دمشق،ط1، سنة 1404ه-1984م، ح ر(7492)، 476/13.

[4]- الرحمن، الآية، 27/26.

[5] - البخاري، الصحيح، كتاب الحدود، باب السارق حين يسرق، ح ر (6782)، 159/8.

[6] - مسلم، الصحيح، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك شبهات، ح ر(1599)، 1219/3.

للعفَّاف مصب نظره، فنصوص شرع جاءت محذرة من خطر هذا الفعل فقد جاء في صريح قوله (صلى الله عليه وسلم):"يا معشر الشَّباب، من استطاع الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّه له وجاءٌ."[1]

فالنبيّ(صلى الله عليه وسلم)شجع الشباب القادر علي إيتاء مصاريف أن يحصن فرجه من وقوع في المحظور، أمَّا غير القادر على أن يتكفّل بمصاريف الزواج لسبب من الأسباب فإن الرسول قدم له نصيحة نبويّة لها دور جليل في تربية النفس ألّا وهو الصوم فهو مدرسة تربَّوية نبّويّة وقد أصاب علي الجريسى فقال:"وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنية، وحمايتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة الّتي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى".[2]

فالزوّاج والصّوم هما احدي الحلول النبَّويّة لحل معضلة الشَّهوة عند الشَّباب المسلم، وقد دعت الحاجة إلى ضرورة حفظ كيان المجتمعات من كل مظاهر الفساد الأخلاقي ومنها بالخصوص الزّنا، فالزّنا آفة قضت على كل مظاهر العفَّاف فقد تفشت هذه الظاهرة في مجتمعاتنا كتفشي النَّار في الهشيم، وقد عدد قاسم العاصي كل المفاسد الناجمة عن الزّنا حين قال:"ومفسدة الزنا مناقضة لصلاح العالم، فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها ونكست رءوسهم بين الناس، وإن حملت من الزّنا فإن قتلت ولدها جمعت بين الزّنا وقتل النفس، وإن أبقته حملته على الزوج فأدخلت على أهلها وأهله أجنبيًا ليس منهم فورثهم وليس منهم، وخلا بهم، وانتسب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلك من مفاسد زناها.

وأما زنا الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضًا.. ولهذا شرع فيه القتل على أبشع الوجوه وأفحشها وأصعبها".[3]

فالزّنا يقترن بالشرك لقوله عز وجل﴿ وَالذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَتِے حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۖ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَٰلِحاً فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.[4]

الله قرن بين ثلاث كبائر الزّنا والشرك والقتل فالإنسان الّذي أقدم على الزّنا جمع بين ثلاث معاصي، وهذه المعاصي كفيلة بأن تجعل العبد يخلد في جهنَّم إن لم يبادر في الإسراع في التوبة. فمن كرم ديننا الحنيف أنّه جعل باب التوبة مفتوح يقول تعالى﴿وَالذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَۖ﴾[5].

مما لاشك فيه أن المسلم تعتريه في بعض الأحيان ووسواس يزين المعصية فينزلق في متاهات مخطرة فربما يقدم العفيف على ارتكاب جرم لا يليق بمنزلته، فيندم أشد الندم وسرعان ما يعود له رشده فتراه مهرولا لربه طالبا العفو والغفران. هذه هي الشخصية المسلمة العفيفة التائبة الّتي تنعم بنفحات إيمانية. وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)أنه قال:"اتّق الله حيثما كنت، وأتبع السّيّئة الحسنَّة تمحها، وخالق النّاس بخلق حسن."[6]

وما أصدق ما قاله صاحب قوت القلوب:"من شرط التَّوبة أن ينبغي للتَّائب المنيب أنه يبدأ بمبينة أهل المعاصي ثم بنفسه الّتي كان يعصى الله تعالى لها ولا ينيلها إلاَّ ما لا بدّ منه ثم الاعتزام على أن لا يعود في معصية أبداً ويلقى عن النّاس مؤنته ويدع كل ما يضطره إلى جريرة ولا يتبع هوى ويتبع من مضى من السلف."[7]

---

[1]- البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، ح ر(5066)،3/7.

[2] -عليّ الجريسيّ :(خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسيّ، الصوم جنة)، 182/1.

[3]- ابن القيم، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الكافي، دار المعرفة المغرب، ط1، سنة 1418ه-1997م، 162/1.

[4]- الفرقان، الآيات، 68 /70/69.

[5] - آل عمران، الآية، 135.

[6] - الترمذيّ، السنن، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ح ر(1987)، 423/3.

[7] - المكيّ أبو طالب:"(محمد بن علي بن عطية الحارثي)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف الطريق المريد إلي مقام التوحيد، تحقيق د، عاصم إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط2،سنة 1426ه-2005م، 306/1.

فالمؤمن العفيف هو الّذي بلغ منزلة رفيعة بفضل ما بذله من جهد نفسي وروحي حتّى ينتصر على ملّذاته فحب الله الّذي ترسخ في وجدان العبد العفيف يكون لديه ذات آدمية قوية سوية تسير وفق شعائر الله.

حبُّ الله درجة لا يبلغها إلّا من حلقت روحه في فضاء الكمال والسمو، فمن ذاق حلاوة الإيمان لن يحيد عنها أبدا، فقد روي البخاريّ في صحيحه أن النّبيّ (صلى الله عليه وسلم): لا يجدُ حلاوة الإيمان حتّى يحبّ المرء لا يحبّه إلّا لله، وحتّى أن يقذف في النّار أحبّ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما".[1]

فمحبة الله تجعل المؤمن العفيف يكثر من الطاعات والفرائض والنوافل حتى يحقق قربا روحيا يجمعه بربه، ففي الصلاة لقاء وذكر ومناجاة وفي الصّوم اعتزال لكل ما تحبه النفس فهو الّذي يزكي النفس فالمؤمن العفيف هو الّذي ينأى بنفسه عن كل الدّنايا، فنفسه تتواجد حيث ما أمرها الله أن توجد، قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2]

فلاستقامة هي المعيار الّذي يمكن المسلم من تجنب الوقوع في الأثام قال تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.[3]

إن الاستقامة تعني الانقياد لطاعة الله باستجابة لأوامره وترك محارمه وقد جاء في الأحاديث عن سفيان بن عبد الله الثّقفيّ، قال: "يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال: " قل: آمنت بالله، فاستقم".[4]

ففي هذا الحديث دليل علي أنّ الاستقامة هي مأتي كل خير، فشأن الاستقامة عظيم لذلك أرشد النبيّ (صلى الله عليه وسلم)مجتمع الصحابة إلى ضرورة التّحلي بها، فإذا تحققّت الاستقامة على أكمل وجه تمكن الإنسان من تحقيق غايته المنشودة في هذا وهي الاستخلاف،

فالتشبع بخلق العفَّة يسعي المسلم إلى تعمير الكون والكَّد والجَّد، قال الفاسي المقصد العام للشريعة هو عمارة الأرض وحفظ نظلم التعايش فيها واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها ".[5]

فالله خلق الإنسان لغاية أرادها سبحانه وكان تكريمه إياه مقصودا حتّى يتحمل مسؤولية عمارة الكون، فعمارة الأرض مرتبطة بالعمل واستثمار الأموال وقد أجاد الغزالي :"يتأسس فرض عمارة الأرض على حقيقة إيمانية مؤداها أن المال أيّ الموارد مال الله ونحن مستَّخلفون فيه، مما يدعونا إلى العمل على تنمية المال خلال الزمن والعمل المطلوب هو العمل الصالح الّذي تزكو به النفس ويحفظ به الدين والبدن والمال والنسل فالعمل المقصود الّذي يعمر الأرض وينتج الطيبات ويحقق بالتالي الحياة الكريمة للإنسان".[6]

والمتأمل في مقاصد العامة للشريعة يجد أنَّ العفَّة جزء منهج يهدف إلى شحذ الهمم ويدفع إلى استنهاض الأمة ودفعها إلى العمل النّافع والكدح وفي المقابل تنفر من الكسل والخمول والجمود .

وردت عدة أحاديث نبَّويّة تشجع علي ثقافة العمل وتستنهض الأفراد لاستثمار الأرض واستخراج خيراتها والتَّسابق للعمل النَّافع ومن ذلك ما قاله حبيبنا:" أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" والّذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلًا، فيسأله أعطاه أو منعه".[7]

في الإجمال هذا الحديث دل على أنّ الإنسان مطالب بأن يستغني عن سؤال النّاس لقوله تعالى"﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.[8]

فالعفَّة تشكل صمام أمان لشخصية المسلم، فهي تساهم في عدوله عن الوقوع في الحرام امتثالا لأمر الله ورسوله، بالعفَّة يسلم المسلم من أهواء نفسه فأكمل المؤمنين إيماننا أكثرهم تمسكا بالعفَّة، فلذة العفَّة أعظم من لذة فهذا الخلق الرفيع يبني شخصية متوازنة لا يمكن أن يكدر صفوها شيء من متاع الدنيا الحقير فعلى

---

[1]- البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب الحب في الله، ح ر (6041)، 8 /14.

[2]- الشمس، الآية 9/8/7/6.

[3]- فصلت، الآية 30.

[4]- مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، ح ر(38)، 65/1.

[5]- علال الفاسيّ، مقاصد الشريعة ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية الدار بيضاء- مغرب،د.ط، د.ت،41.

[6]- عبد الحميد الغزاليّ، التنمية من منظور اسلامي، 64/1.

[7]- البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب الزّكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ح ر(1470)، 123/2.

[8] - الملك، الآية،15.

المرء أن يحفظ جوارحه من الرذائل ويبني شخصيته وفق أسس إيمانية متجنبا بذلك الشُّبهات الّتي قد تقدح في مروءته، فالعفيف لا يعرض نفسه لانتقادات النّاس وسخريتهم فهو يؤمن أن وجوده له غايات سامية فهو يحرص أن يستثمر وقته من أجل صلاح نفسه وذويه.
وتجدر الإشارة إلي الإنسان إذا ما سلمت سريرته وعلانيته سيحظى بمكانة اجتماعية مرموقة داخل المجتمع، فالعبد العفيف له وجود معتبر بين أفراد المجتمع.

المطلب الثّاني: العفّة تساهم في تحقيق الاستقرار الاجتماعي للمسلم

ولا عجب أن يكون الفرد المتعفف محل احترام وتقدير وتشريف من قبل أفراد مجتمعه فهذه منة ورحمة يؤتيها الله لعباده العفيفين، والسر الكامن وراء تمتع الفرد بهذه الدرجة هو حسن إيمانه الّذي تشبث به منذ نعومة أظفاره وجاهد نفسه من أجل أن يحسن إيمانه.من هنا جاء الأمر الربَّاني يدعو النَّاس إلى ضرورة مجالسة من تحلي بجميل الخصال قال تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.[1]

معلوم أن من يتصف بالعفّاف تهواه قلوب الناس وتألفه الأرواح فالمرء العفيف هو أقرب الناس للناس. ينتفع به الصغير والكبير الغنيّ والفقير، فقد جاء في كتاب أجنحة المكر الثّلاثة:" إن هذا الخلق بوصفه خلقاً ثابتاً في الفرد المسلم السّوي معقد من معاقد التّرابط الجماعي, إذ تنعقد فيه ثقة النّاس بما يضعون بين يديه من أعراضهم، فأتمنه الأسرة على أعراضها إذا غابت وبأمنه الجار على عرضه إذا خرج من منزله إلى عمله ونحو ذلك".[2]

باختصار يحظى المتعفف بحب جميع الطبَّقات الاجتماعية المكونة للمجتمع فهو يتمتع بثقة كبيرة بلغت حد إقبال النّاس على الاستعانة به ومشورته في بعض أمورهم الخاصة الّتي يجدون حرجا في إطلاع النَّاس عليها، فترى البعض يقبلون على لأخذ بإرشاداته ونصائحه، فالعفيف لسمو روحه يكثر أصدقاءه ولا تكاد تجد له عدوا وإن وجد فهو يبذل قصارى جهده إلى كسب قلوبهم محولا إياهم إلي أصدقاء مقربين بعد أن كانوا أعداء أشداء، وبذلك تقل مشاكله وخلافته معهم فنفسه تسعي إلي معالي الأمور فهو يوقن أنّه وبتجنبه لرد السَّيئة، فمن ثمرات العفاف حفظ السلم الاجتماعي فقد قال تعالي في محكم تنزيله ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.[3]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:" قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشّيطان وخضع لهم عدوّهم كأنّه وليٌّ حميمٌ."[4]

تجدر الإشارة هنا أنَّ الشخصية العفيفة تسعى إلى نيل رضاء الله ولا غاية له إلّا هذا، فالمؤمن العفيف هو الّذي يرسم غايات وأهداف نبيلة ثم يصارع نفسه من أجل تحقيقها، وهذه الغايات تكون خالصة لوجه الله فالعفيف يكتسب خلق العفَّاف حتّى تصبح سجية له دون أي تكلف، ولا مسعى له في هذا سوى الإخلاص لله، ومن وفقه الله إلى الاتصاف بهذا الخلق نال خير الدنيا والآخرة نال حب الله له فقد ورد في الحديث "إن الله إذا أحبّ عبدًا دعا جبريل فقال: إنّي أحبّ فلانًا فأحبّه، قال: فيحبّه جبريل، ثمّ ينادي في السّماء فيقول: إنّ الله يحبّ فلانًا فأحبّوه، فيحبّه أهل السّماء، قال ثمّ يوضع له القبول في الأرض".[5]

كلما كانت شخصية المرء تتّصف بمقدار عال من العفَّاف تتّخلص من الشعور بالاستياء والكدر النفسي والهموم فهي تنعم بحياة مفعمة بالرَّاحة النفسية، وهذه الرَّاحة في حد ذاتها تنعكس على صحتهم فالعفيف الّذي حرم على نفسه كل أشكال المحرمات يتمتع بصحة جيدة، ونضيف على ذلك النور الربّاني

---

[1]- الكهف، الآية 28.
[2]- الميدانيّ:"(عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميدانيّ)، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، د،ت، دار القلم- دمشق، ط8، سنة1420ه-2000م، 401/1.
[3] -فصلت، الآية، 34.
[4] - ابن كثير، القرآن العظيم، 166/7.
[5]- مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده، ح ر (2637)، 2030/4.

والبياض والناصع الّذي تلمحه العيان في وجوه أهل العفَّاف فسماهم في وجوهم فكأن الله زين محياهم الخارجي، وهذا النور الربّاني جعل العفيفين يتبوءون صدارة مجتمعاتهم فأصبحوا قدوة يحتذي بهم.
في هذا الإطار قال السيد سليمان الندويّ:" إن الأفراد في المجتمع البشريّ هم في حاجة إلى مثل عليا يقتدون بها في مناحي حياتهم البيتية، لتتوثق الروابط بين الأفراد، وتحسن العلاقات بين شتّى الطوائف في داخل الأسرة وخارجها. لذلك ينبغي أن تكون تلك المثل كلّها واضحة في حياة الإنسان العظيم الّذي يتّخذ مثالا في الحياة".[1]

وقد بين لنا الرسول(صلى الله عليه وسلم)في حديث جميل الفرق بين الجليس السوء والجليس الصالح فقد روى مسلم عن النّبيّ(صلى الله عليه وسلم) قال: " إنّما مثل الجليس الصّالح، والجليس السّوء، كحامل المسك، ونافخ الكير".[2]

وفي الجانب المقابل تأتي شخصية العبد الغير العفيف الّذي يوصف بسيئ الصفَّات فمرتكب الفواحش لا يحبه الله ولا ينظر له يوم القيامة جراء الجرم الّذي ارتكبه بيده، بل إن الله حذر عباده من مصاحبة مثل هؤلاء فقال في كتابه المطهر:" ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾.[3]

رغم ستر الله للعبد العاصي إلاّ أنّه أبى إلا أن يكشف حجاب الستر عن نفسه ولم يرضخ لنداء ضميره المتكرر الواعظ له بالعودة والفرار إلى الله، فحق فيه نزول السخط الرَّباني فجعله الله في أسفل السَّافلين مع الفجار الفَّاسقين فهو جني على ذاته البشريّة بملء إرادته فسقط من عين الله ومن رحمته، فما أمرها من عقوبة

علاوة على الغضب الإلّهي الّذي يلاحق هذا الصنف من العباد فإن المجتمع لن يرحم مثل هؤلاء، فقد جاء في أجنحة المكر الثّلاثة:"ومتى انهارت في الفرد فضيلة العفّة انكسر فيه معقد من معاقد التّرابط الجماعي فانقطعت بينه وبين مجتمعه رابطة عظمى، وأمسى الناس لا يأمنونه على أعراضهم، ولا يأمنونه على بلادهم ومصالحهم العامة، ".[4]

فعقاب المجتمع لهم يتجلي في ابتعادهم عنهم وتجنب الاختلاط بهم، وقد صدق فيهم قول رسولنا(صلى الله عليه وسلم):"وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول: إنّي أبغض فلانًا فأبغضه، قال فيبغضه جبريل، ثمّ ينادي في أهل السّماء إنّ الله يبغض فلانًا فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثمّ توضع له البغضاء في الأرض".[5]

فالمجتمع يفر من هؤلاء لتجردهم من الاتصاف بالقيم الفاضلة والمحمودة، فالفاسق يدعي بسقيم أوصاف من قبيل لفظ زانيٍ فاجر مجرم. فسمعته تمرغ في التّراب بعد أن كان ذا مرتبة عالية فمجده هدم وقدره طمست وطوي الدهر اسمه حتّى تمكن منهم اليأس والحزن فظهرت الكآبة علي وجههم فيسود وجهه وتصبح معيشته شديدة ذل وانكسار، باختصار معيشته ضنكا فقد أنزل الله في محكم كتابه" وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ".[6]

وجاء **في** تفسير القرطبيّ معنى هذه المعيشة حيث قال :"والمعرض عن الدّين مستول عليه الحرص الّذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدّنيا، مسلّطٌ عليه الشّحّ، الّذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشه ضنكٌ، وحاله مظلمةٌ، كما قال بعضهم: لا يعرض أحدٌ عن ذكر ربّه إلّا أظلم عليه وقته وتشوّش عليه رزقه، وكان في عيشة ضنك"[7]

فسبب هذه العيشة الضنك والذل والانكسار هو غفلة الإنسان وغياب ثقافة الخوف والخشية من الذّات الرّبانية، فهذان الأمران هما الباعثان على مفارقة كل المحرمات، كما أنَّ خشية الله هي السر الكامن وراء سمو روح العبد من لذلك جاءت الأديان السّماوية قاطبة داعمة لخلق العفَّة منددة بكل من تسول له نفسه أن يهتك بهذا الخلق، كاشفة عن هول ما قد يحل بالعالم إذا ما ضيع خلق العفَّاف، فالأمم كثيرة عصت الله فكان مصيرها الزوال والمقت فما حل بها كان سببه ممارسة المحرمات، يتبين لنا أنَ المحرمات مؤذنة بخراب

---

[1]- سليمان الندويّ، الرسالة المحمدية، 52/1.
[2]- مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلّة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين، ح ر (2826)، 2026/4.
[3]- النجم، الآية29 .
[4]- عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميدانيّ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، 401/1.
[5]- مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلّة والآداب، باب إذا أحب الله عبد حببه لعباده، ح ر (2637)، 2030/4.
[6]- طه، الآية، 120.
[7]- القرطبيّ، تفسير القرطبي،259/11.

العمران قال ربنا:﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾.[1]

من هذا المنطلق قال الندويّ :"وتاريخ العالم أصدق شاهد على أنّ كلّ أمّة لم تؤمن بالله، ولم تعمل صالحا بأنها قد خسرت، وهلكت، وكذلك الأفراد الذين لم يؤمنوا بالله، ولم يعملوا صالحا أنهم قد خسروا، وهلّكوا ".[2]

العفَّة منظومة أخلاقية زاخرة بكل بالمعاني النفيسة الّتي يحتاجها الفرد حتّى يبني صرح مجده داخل المجتمع، ويترتب على وجود هذا الخلق الثواب الجميل وعن انعدامه العقاب الشديد، فالعفّاف هو أساس بلوغ الفرد الدرجات العلا. فأهل العفَّة يتبوءون صدارة المجتمع، ويتعدى دور العفَة كونها تبوأ الفرد مكانة إستراتيجية بل هي تساهم في تحقيق تماسك شخصية المسلم على الجانب الاقتصادي.

المطلب الثَّالث: مساهمة العفَّة في حفظ الجانب الاقتصادي للمسلم

إن الفرد العفيف هو الّذي يبتعد عن كل المنهيات فيما يتعلق بالمال، فهو يوقن أن حب المال يوجب الذل والهوان، فالنفوس العفيفة تنأى بنفسها عن كل الفواحش من سرقة وقمار وميسر وربّا وذلك يعود إلى قوة إيمانه وسلامة فطرته. فالمعاملات المالية ينبغي أن تسير وفق أصول الشَّريعة وأن لا تتعداها في هذا السياق قال محمد طاهر الجوابي:" كل عمل يجب أن يكون حلالًا، وأن ينجز على الوجه الحلال، سواء كان في المعاملات اليومية كالزرّاعة، والصنّاعة والتجارة والإدارة وسواها. أو في المعاملات المالية كالصرف وغيره".[3]

فالمال هو وسيلة اختبار مدي صدق الإيمان فكما يتم استثماره في الخير يوظفه الكثيرون في الفساد، ولا أحد ينكر أن كما للمال فوائد شتيّ فهو الّذي يصون النفس من ذل السّؤال قال ابن حجر:" من لا شيء له فالأولى في حقّه أن يتكسّب للصّون عن ذلّ السّؤال أو يترك وينتظر ما يفتح عليه بغير مسألة فصحّ عن أحمد مع ما اشتهر من زهده وورعه أنّه قال لمن سأله عن ذلك الزم السّوق وقال لآخر استغن عن النّاس فلم أر مثل الغنى عنهم وقال ينبغي للنّاس كلّهم أن يتوكّلوا على الله وأن يعوّدوا أنفسهم التّكسّب ومن قال بترك التّكسّب فهو أحمق يريد تعطيل الدّنيا نقله عنه أبو بكر المروزيّ وقال أجرة التّعليم والتّعلّم أحبّ إليّ من الجلوس لانتظار ما في أيدي النّاس وقال أيضًا من جلس ولم يحترف دعته نفسه إلى ما في أيدي النّاس ".[4]

إلّا أن سلبيات المال فاقت إيجابياته في وقتنا الراهن فالإفراط في الكسب أصبح سمَّة العصر والجشع بلغ درجات خطرة فالكل حريص على جمع المال بأي طريقة كانت، فتري الكثيرين من بني جلدتنا لا يولون اهتماما من أين يأتي مصدر هذا المال وهذا ما جعل القرطبي يقول:" أمّا من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظر في مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد عفاف نفسه وعائلته، وادّخر لحوادث زمانه وزمانهم، وقصد التّوسعة على الإخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده، ".[5]

فلإسراف في جمع المال نزع الإيمان من بعض القلوب، فالمال يورث قسوة القلب، إذ حب المال في غالب الأحيان يجعل المرء عبدا له، وهذا أمر مذموم لا تقبله فطرة الإنسان العفيف، وقد روي البخاريّ حديثا يكفي بالغرض جاء فيه أن النّبيّ صلّى الله علّيه وسلّم قال: "تعس عبد الدّينار، والدّرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض".[6]

وتشهد كتب السّيرة أنَّ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) أرشد الصحابة إلي ضرورة اكتساب المال بالطرق المشروعة وحذرهم من خطورته، فسار صحابته علي هديه وعن هذا المنهج النّبوي التربويّ، وقد آتي هذا المنهج أكله وثماره على أجمل هيأة في قلوب الصحابة وأصبح كل واحد فيهم يستحضر النيَّة الطيبة في

---

[1] -محمد، الآية، 38.

[2] - سليمان الندويّ، الرسالة المحمدية، 21/1.

[3]- الجوابيّ محمد الطاهر، المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط3، سنة، 1423ه-2000م، 37/1.

[4]- ابن حجر، فتح الباريّ، 277/276/11.

[5]- القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، 419/3.

[6]- البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو وفي سبيل الله، ح ر (2886)، 34/4.

جمعه وتكسبه. فالإنسان العفيف يعلم أن الإسرَّاف في حب المال وجمعه دون وازع دينيّ يؤدي به إلى ما يحمد عقباه، وقد أحسن إبراهيم الطريقي في تعريفه للإسراف فقال الإسرّاف:"هو صرف الشيء فيما لا ينبغي زائدا على ما ينبغي."[1]

ومن أمسى العفَّاف سجيته يعلم أنّ الثَّروة قد تفني بسبب الإسرّاف إذ لم يراعي فيه وجه الله ، فالإسراف المحمود هو ما يتم لوجه الله قال بعض السلَّف:" كل ما أنفقته في طاعة الله فليس بسرف وإن كثر، وما أنفقته في غير طاعته فهو سرف وإن قلّ".[2]

فالمال بالنسبة للمرء العفيف يعد من أهم الأسباب الداعية لسقوط في مستنقع الرذيلة، خصوصا إذا لم يلتزم المؤمن بالتّحلي بعفّاف اليد فإن نفسه ستروج له فكرة الاعتداء على مال اليتيم الّذي كلّف بتربيته، والأمر يتجاوز أكل مال اليتيم فنفسه ستزين له الشَّهوات وتدعوه بكل وسائل الغواية بأن يقدم على ممارسة السَّرقة والرّبا والميسر حتَّى يرفع من سقف ثروته فالعفيف هو من صان نفسه عن الجنوح لمثل هذه التصرفات، فهو يتعفف عن أكل مال اليتيم استجابة لقوله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾.[3]

معلوم أن حرم أكل مال اليتيم أشد تحريم فهذه الآية حذرت أي شخص أتمن على كفالة اليتيم من أن يأكل ماله بدون وجه حق، وقد وردت عدة أحاديث نبَّوية تجرم هذا الصنع المنافي للمروءة فقد جاء في البخاريّ أن النّبيّ(صلى الله عليه وسلم)قال:"اجتنبوا السّبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: «الشّرك بالله، والسّحر، وقتل النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم."[4]

وقد أحسن ابن حبان حين أخرج حديثا يصور العذّاب المقيت لأكلي مال اليتيم. قال رسول الله(صلى الله عليه وسلم) قال: «يبعث يوم القيامة قومٌ من قبورهم تأجّج أفواههم نارًا» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ألم تر الله يقول {إنّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنّما يأكلون في بطونهم نارًا}.[5]

فكفالة اليتيم تعني القيام بجميع أموره من مأكل ومشرب ولباس وتعليم وهو كذلك ينمي مال اليتيم عن طريق استثماره في الأمور المباحة فمن توخي منهج الإحسان لليتيم جاز له دخول الجنّة ودليل هذا قول رسول الله(صلى الله عليه وسلم)"أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا وأشار بالسّبّابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئًا".[6]

وقد عد البيت الذّي تكفل مالكوه بالسهر على شؤون اليتيم بأنه من خيار بيوت المسلمين وهذا دليل أنَّ الله يجازي على الإحسان إلى اليتيم الجزَّاء الحسن ودليل هذا قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "خير بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يحسن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يساء إليه".[7]

ونحن اليوم نرى بأم أعيننا تردي حال الكثير من بنيّ جلدتنا جراء مخالفتهم للنصوص الشَّريعة التّي تندد بكل من لا يتوخي منهج الإحسان لليتيم، فالعفيف هو الّذي يحصن نفسه عن الاعتداء عن مال اليتيم من خلال محاربة هوي نفسه، فالعفيف هو الّذي يستحضر النية الطيبة في كل تعاملاته المالية مع اليتيم بل إنّه يسعي إلي اعتماد الكلمة الطيبة مع اليتيم ويرأف بحاله ويعتبره كأحد أبناءه، فيخصص له وقتا من يومه لجلوس معه ويحسن تربيته، وبذلك يكون مطمئننا من زاويتين، فبنسبة الأولى وظف هذا المال فيما يرضي الله من ناحية تنميته، وفيما يتعلق بالزَّاوية الثَّانية فتكون نفسيته مطمئنة يوم أن يصبح هذا اليتيم طفلا يافعا فيسلم الأمانة لأهلها وهو قرير العين، فهذه هي ثمار العفاف بلوغ المرء درجة أن يحب لنفسه ما يحبه لغيره وهذه أعلى درجات كمال إيمان العبد. ولا يقتصر دور العفيف عن تجنب أكل أموال اليتامى فهو كذلك يتجنب السرّقة خشية أن يحل به غضب الله ملتمسا الإقتداء برسول(صلى الله عليه وسلم) فقد جاء في كتاب الطريق إلى الإسلام:" أن الله وحرّم السرّقة، وتوعد فاعلها بالعقوبة، وشرع حد السرقة وهو قطع يد

---

[1]- الطريقيّ عبد الله إبراهيم ، مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء القرآن،د.ط، د،ت، 19/1.

[2]- الطريقيّ عبد الله إبراهيم ، مشكلة السرف في المجتمع المسلم وعلاجها في ضوء القرآن، 14/1.

[3]- النساء، الآية 10.

[4]- البخاريّ، الصحيح الجامع، كتاب الوصايا، ، ح ر(2767)، 10/4.

[5]- ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، كتاب الحظر والإباحة، ذكر الإخبار عن وصف ما يعذب به في القيامة أكلة مال اليتيم، ح ر (5566)، 377/12.

[6]- البخاريّ، الصحيح الجامع، كتاب الطلاق، باب اللعان، ح ر(5304)، 53/7.

[7]- البخاريّ، الأدب المفرد ، تحقيق سمير بن أمين الزهري، 73/1.

السارق؛ حتى لا يتجرأ أحد على سرّقة الأموال؛ فإذا لم يرتدع خوفاً من عقاب الآخرة، ارتدع خوفاً منن قطع اليد ثم إن قطع يد السَّارق فيه حكمة الزجر للسّارق من معاودة السرّقة، وردع أمثاله عن الإقدام عليها، وهكذا تحفظ الأموال في الإسلام."[1]

فالله شدَّد على ضرورة مجازاة مجرمي سرقة الأموال حتّى تصان ممتلكات الأفراد والجماعات من الاعتداء فترتب عن ذلك عدَّة فوائد تعود للفرد والمجتمع على حد السواء، حتّى أن صفّة النبل كانت تطلق على كل من تجنب السرّقة قال ابن أبي الدنيا:" "لا ينبل الرَّجل حتّى يكون فيه خصلتان: العفَّة عمّا في أيدي النّاس، والتجاوز عما يكون منهم ".[2]

ونتيجة هذا التشديد ردع الله كل شخص توسوس له نفسه الأمارة بالسوء من أن يقدم في التفكير في السرقة، وجاء في الأثر عن عائشة قالت:" أنّ قريشًا أهمّهم شأن المرأة المخزوميّة الّتي سرقت، فقالوا: من يكلّم فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلّا أسامة، حبّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم)، فكلّمه أسامة، فقال رسول الله(صلى الله عليه وسلم): «أتشفع في حدّ من حدود الله؟» ثمّ قام فاختطب، فقال: «أيّها النّاس، إنّما أهلك الّذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ، وايم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها".[3]

فالسرقة تعد من إحدى الكبائر المحرمة لذلك نهانا الشَّارع عن الحوم حلها أو الاقتراب، مرد انسياق البعض لمثل هذا الفعل الفاحش هو ضعف الوازع الديني والسعي نحو الثراء بأي وسيلة كانت وهذا دليل على دنو الهمة فمما لا شك فيه أن الأنفس الذميمة الحقيرة لن تحلق روحها سوي حول الدنَّاءات الأمور، فهذه الأمور مخلة بتوازن شخصية المؤمن، فالسَّارق لا يؤتمن بالمرة ومن ذلك حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)قال:" آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان".[4]

إنَّ السارق وبخيانته الأمانة المتمثلة في تضيع أموال النّاس وضمها لثروته عن طريق الاحتيال والغش والخيانة قد استحق أن يتصف بصفّة المنافق، فهذا الطريق منبوذ لدى المسلم العفيف فخطاه تسير وفق ما نادت به تعاليم الّدين حتّى لا يعرض نفسه لعقاب الله، وقد أشار أحمد حسن إلى هذا إذ جاء على لسانه:" لقد شدَّد العليم الرحيم بفضله وتكريمه للناس في معاقبة مجرمي سرقة الأموال حفاظا على ممتلكاتهم وأمنهم وصيانتهم من الظلم والعدوان وردعا لمن يفكر في الإقدام على أخذ أموال النّاس بالسرقة".[5]

فالعفيف ينأى أن يطلع إلى ثروات النّاس فهو ينظر إلى ما هو دونه حتّى لا يدخل الطمع إلى جوف قلبه مستندا بذلك إلى قول الأسوة الحسنة محمد ابن الله (صلى الله عليه وسلم) هو الّذي أرشد أمته إلى هذه القاعدة النفسية فالسعادة لا تقتصر على المال فحسب.

وزيادة على كون العفيف تجنب أكل أموال اليتامى والسرّقة فإنه كذلك يبتعد عن ممارسة القمار والميسر فقد جاء النهي عن ممارسة هاتان الكبيرتان جليا في كتاب الله وسنةّ رسوله (صلى الله عليه وسلم) ففي القرآن قال جل ثناءه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.[6]

ففي هذه الآية إشارة إلى أن أهل الجاهلية كانوا من أكثر الأجناس إقبالا على ممارسة القمار والميسر، فجاء الإسلام ونهاهم لما لهذا الخلق الدنيء فهو يعد من مخاطر تهدد حياة الفرد والمجتمع، فالقمار طريق مخالف للفطرة البشرية فمن أساسيات مبدأ المقامر أنَّه في حالة فوزه على غريمه فهو يغصب له ماله أمام مرأى عينه ولا يختلف اثنان على كون أي شخص فقد ثروته وماله الذي أفني جزءا من حياته في جمعه يشتَّدد كرهه على من سلبه أمواله، ومعلوم أنَّ غالبية جلسات المقامرة تنتهي بخصومات بل تبلغ درجة ارتكاب جرائم قتل، فكم من مقامر أقدم علي قتل مجالسه، وغالب ما تتم هذه الجلسات مع احتساء الخمر المذهب لملكة العقل والتفكير، فهذه الكبيرة جمعت في عهدتها عدة جرائم[قتل، خمر، شجار] فتحريم القرآن لهذا

---

[1] - محمد بن ابراهيم بن أحمد، الطريق إلي الإسلام، 43/33/1.

[2] - الأخلاق والسّير في مداواة النفوس، ط دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط 2،سنة 1979م. 33/1.

[3]- مسلم، الصحيح، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف، ح ر (1688)، 1315/3.

[4]- البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، ح ر (33)، 16/1.

[5]- أحمد حسن كرزون، تكريم الرحمان للإنسان،1/ 300.

[6]- المائدة، الآية،90.

الجرم الشّنيع خير دليل على كون الإسلام يسعي إلى محاربة كل ما يلحق ضرر بجنس البشر، وعن كل ما يشغل المرء عن عبادة ربّ الأكوان، وفي القمار مخالفة للمبدأ عمارة الأرض فهو يرسخ لدى الآدميين ثقافة الكسل والبخل وانتظار الرزق أمسى ينحصر في ممارسة القمار ولا يخرج عن هذه الدائرة.

ولعل من أخطر ما يترتب عن ممارسة القمار هو انقلاب حالة مرتكبها إلى أسوء حال، فتبَّدد ثروته في ليلة وضحاها، يصبح من أفقر الناس فيحصل التَّفكك الأسري، وتهدم العشرة الزَّوجية بانفصال الزوّجة، ويضيع الأولاد وهذه أعظم البلاّيا، وأشد الخسران. قال محمد الصابونيّ:" ذكر الله تعالى في الميسر مفسدتين، إحداهما دنيوية والأخرى دينية، فأما الدنيوية فإنَّ الرجل لا يزال يقامر حتّى يبقى سلبيا لا شيء له وينتهي إلى يقامر حتَّى علي أهله وولده، وأما الدينية فإن الميسر سواء كان المقامر غالبا أو مغلوبا يلهي عن ذكر الله."[1]

كذلك نقرأ في السّيرة المطّهرة أحاديث تحذر المسلم من ممارسة هذا الفعل ففي زاد المسير عن قتادة قال: " كان الرّجل في الجاهليّة يقامر على أهله وماله. يقعد حزينًا سليبًا ينظر إلى ماله في يد غيره وكانت تورّث بينهم العداوة والبغضاء فنهى الله عزّ وجل عن تلك".[2]

ومنفعة الميسر مصير الشّيء إلى الإنسان في القمار بغير كدّ ولا تعب، فكانوا يشترون الجزور ويضربون بسهامهم، فمن خرج سهمه أخذ نصيبه من اللّحم ولا يكون عليه من الثّمن شيءٌ، ومن بقي سهمه آخرًا كان عليه ثمن الجزور كلّه ولا يكون له من اللّحم شيء. وقيل: منفعته التّوسعة على المحاويج، فإنّ من قمر منهم كان لا يأكل من الجزور وكان يفرقه في المحتاجين".[3]

وجاء في تفسير القرطبيّ قوله :" جاء الإسلام فنبذ هذا الخلق الجاهلي فقدوتنا وحبيبنا محمد ابن عبد الله عدّ مجرد الدعوة إلي القمار قمارا فقال:"من قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدّق".[4]

فالإنسان العفيف يتجنب هذا المسلك المؤذن بالخراب لذلك يسعى في تعمير الأرض متّوكلا على ربّه طالبا الرزق منه، فالشَّخصية العفيفة متشبعة بحب الله والإخلاص له، فمن يتقي الله يجعل له مخرجا

علاوة إلى القمار هنالك طريق أخر للثراء يستثمره أصحاب البنوك لسلب الأفراد أموالهم بطريقة بشعة تعبر عن أنفس أسيرة لحبّ الدنيا وشهواتها، ألّا وهو الرّبا والمقصود به:" الرّبا: هو الزيادة في بيع شيئين يجري فيهما الرّبا. فالمرابي إما أن يزيد في شيء على شيء، أو يؤخر القبض مقابل الزيادة".[5]

الله حرم الرّبا فهو من أهم الأسباب المؤدية إلى تفشي الأحقاد والعداوات بين أبناء المجتمع الواحد فهو بمثابة القانون الّذي ينادي بتقديم أموال لعامة النّاس لكل من ضاقت بهم سبل الحياة من أجل توفير أساسيات العيش، ولكن الحقيقة تقول خلاف هذا، فالرّبا عمل إجرامي يقوم بإستفراغ جيوب حرفاه، فهو يسعى لتحقيق أعلى نسب الربح في فترات وجيزة، إن الرّبا كان متواجدا في المجتمع الجاهلي وكانوا يتعاملون به فيما بينهم قال القصّاص :"والرّبا الّذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض والدراهم والدّنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به ".[6]

فتحريم الرّبا الغاية منه القضاء على ثقافة التَّواكل ونضيف إليها الظلم فالإسلام جاء ليغير المتوارث من الإرث الجاهليّ إلى ما هو منشود ومحمود، فهذه المفاسد الّتي استفحلت في المجتمعات الجاهلية لازالت تقبع في واقعنا اليومي رغم مناداة الإسلام بتجنبها، وقد جاء التحذير من خطر الرّبا بنصوص كثيرة في السُّنة النَّبويّة المطّهرة، ومعلوم أن أهل الرّبا يعذبون أشد العذاب لجرم صنيعهم وهول الفساد الّذي اقترفوه فقد جاء في الأثر قول النّبيّ(صلى الله عليه وسلم):"رأيت اللّيلة رجلين أتياني، فأخرجاني إلى أرض مقدّسة، فانطلقنا حتّى أتينا على نهر من دم فيه رجلٌ قائمٌ وعلى وسط النّهر رجلٌ بين يديه حجارةٌ، فأقبل الرّجل

---

[1]- محمد علي الصابونيّ، صفوة التفاسير، 363/1.

[2]- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، سنة 1422ه.

[3]- القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، 57/3.

[4]- البخاريّ، الجامع الصحيح، كتاب تفسير القرآن، باب أفرأيتم اللات والعزي، ح ر (4860)، 141/6.

[5]- التويجريّ، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، 725/1.

[6]- الجصاص:(أحمد بن على أبو بكر الرازيّ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د،ط، 1405ه، 184/2.

الّذي في النّهر، فإذا أراد الرّجل أن يخرج رمى الرّجل بحجر في فيه، فردّه حيث كان، فجعل كلّما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت ما هذا؟ فقال: الّذي رأيته في النّهر آكل الرّبا".[1]

المسلم العفيف هو من توخى منهج الورع في تعاملاته المالية، فالورع المقرون بالعفَّاف هو الّذي يحمي المرء من الوقوع في معصية الله، فالرّبا من أكبر الكبَّائر.

فالصراع والتّنازع عن المال بلغ أقصى درجاته فأثيرت عدة أزّمات ما تكاد تُزال واحدة حتّى تطفو أخرى على أرض الواقع وتكون أشد منها زعزعة لكيان المسلم فالقرآن وجهنا في مرات عدة إلي أضرار الاستعمالات غير العفيفة للمال، فالمرء إذا ما انحاز كليا إلى حبّ المال وجمعه، سوف يبتعد عن ربّه وتفتر عبادته بعد أن كان صاحبها في قائمة العابدين الخاشعين الحافظين للحدود الله وحرماته، فالمسلم هو الّذي يسعى في الاستثمار والتعمير في الأرض مع المحافظة على واجباته الدينية.

هؤلاء العفيفين لا تشغلهم الدنيا وزخرفها بما فيها من بيع وشراء وتجارة وصناعة وتجارة عن ذكر الله، فذكر الله من أولى أولويات العبد المتعفف، وإتباع أوامر خالقه وتجنب نواهيه هي من أسمي الغايات التي يجاهد نفسه من أجل التحلي بها،

نختم هذا المطلب بالقول أن العفة هي من الصفّات الكريمة للفرد المتعفف، فهي أساس الفضائل، فالعفَّة تعد من مظاهر رقي الأمم والمجتمعات بها يحصل الخير الكثير. فالشخصية المسلمة مطالبة باكتساب هذا الخلق وهذا مما لاشك أنّه يحتاج إلى مجاهدة كبيرة وضبط نفس عن سفاسف الأمور، فالشَّخصية العفيفة هي الّتي بفضلها يتكامل بناء المجتمع.

الخاتمـــــة

توصل هذا البحث إلى إبراز المكانة المرموقة الّتي احتلها خلق العفَّة، فالعفَّة هي المناخ الملائم المؤسس لكل الأخلاق الفاضلة، وهي اللَّبنة الأولى لحفظ المجتمعات، خلق رفيع يعبر عن نفس سوية ترنو إلى معالي الأمور كنيل ثواب من الله تعالى، فلا بد لكل أفراد المجتمع التحلي بهذا الخلق الحميد، فهو من الأخلاق الّتي لا بدّ لكل فرد أن يتربي وينشأ عليها منذ اللَّحظات الّتي يضع فيها قدميه على هذا الكوكب وهذه التنشئة التربوية هي الّتي تحفظ المجتمع من كل مظاهر الانحطاط والتخلف وكذلك تصونه من الوقوع في ممارسة الآثام والخطايا، فالمجتمعات لا تحقق الفضيلة والسعادة والطُّهر والسّمو إلّا إذا ما تشبعت بخلق العفَّة وجعلت منه مقياسا في مختلف تعاملاتها، فهي بمثابة الرقيب الّذي يجنب النفس الوقوع في الرذائل.

والمتأمل لواقع المسلمين في الوقت الراهن يلاحظ انحرافا واضحا وجليا عن الصراط وهذا إنّما يعود بالأساس إلي بعد المسلمين عن كتاب الله ذلك الكتاب الّذي جاء به خير البشر معلم البشريّة نبِّينا محمد إبن عبد الله (صلى الله عليه وسلم).

حتما لكي ننعم بحياة آمنة مستّقرة لا بد للمسلم أن يأخذ بالأسباب الّتي توصله للاتصاف بصفة العفَّة، ومن هنا وجب علي المسلم بادئ الأمر أن يتحصن من كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين طاعة ربّه على أكمل وجه، فالمسلم العفيف يجب أن لا يرضخ لأهواء نفسه فهو مدعو بأن يجعل من كل زلة جسرا يوصله إلي بر الأمان، فمصيبتنا الكبرى تتمثل في ميلنا إلي اقتراف الذنوب والمعاصي ليلا نهارا دون أدني لوم ولا صحوة ضمير وهذا هو ما جعل من أمتنا ذليلة بين الأمم، ونحن نجزم أنَّه لا مخرج للأمة المسلمة وما تعانيه من تمزق وتخلف وهوان هو العودة إلى ديننا الحنيف وشريعتنا الغراء، فلابد من العودة إلى كتاب الله وهذه العودة لا بد أن تكون صادقة ومن القلب، علاوة على أنّ العودة تشمل كذلك الإنكباب على ما في النص.

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم .**
- ابن الجوزي، زاد المســير في علم التفســير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، سنة 1422ه.

[1]- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب البيوع، باب آكل الربا، ح ر (2085)، 59/3.

- ابن بطال:(أبو الحسن عليّ بن خلف)، شرح صحيح البخاريّ لابن بطال، تحقيق ابو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر مكتبة الرشد السعودية، ط2، 1423ه 2003م.
- ابن حجر العسقلانيّ: (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ،دار المعرفة –بيروت، ط1، سنة 1137ه.
- ابن حزم :(أبو محمد علي أحمد بن حزم الأندلسي)، الأخلاق والسير في تهذيّب الأخلاق، د،ت، دار الأفاق الجديدة-بيروت، ط2، سنة 1399ه- 1979م.
- ابن عاشور، محمد الطّاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م.
- ابن علان:(محمد علي بن محمد بن علان الصديقي)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، دار المعرفة للطباعة والنشر و التوزيع بيروت –لبنان، ط4: سنة1425ه-2004م.
- ابن فارس:(أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة 1399ه-1979م.
- ابن كثير، عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل ابن عمر، **تفسير القرآن العظيم** ، دار المعرفة، بيروت - لبنان ،ط1 1986م.
- ابن منظور:(جمال الدين محمد بن مكرم بن عليّ)، لسان العرب المحيط، دار صادر، بيروت-لبنان.
- أبو الفضّل (عياض بن موسيّ بن عمرو اليحصبيّ)، مشارق الأنوار على صحاح الاثار،د ت، المكتبة التيقة ودار التراث.
- أبو داود:(سليمان بن الأشعث الأزدي السجستانيّ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا-بيروت.
- أبو يعليّ:(أبو يعلي أحمد بن علي الموصليّ)، مسند أبي يعلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث- دمشق،ط1، سنة، 1404ه-1984م.
- أحمد ابن حنبل: (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل متوفي 241ه)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1421،1ه-2001م.
- أحمد الحمد :(محمد بنّ إبراهيم بن أحمد الحمد)، الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، دار ابن خزيمة ط1، 1418ه.
- الأخلاق والسّير في مداواة النفوس، ط دار الآفاق الجديدة-بيروت، ط 2،سنة 1979م. 33/1.
- الأصفهانيّ: (أبو القاسم بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان المداوديّ، دار القلم الدار الشامية دمشق بيروت، ط1، سنة1412ه.
- الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق أبو اليزيد أبو زيد العجميّ، دار السلام- القاهرة، د.ت، 1428 هـ - 2007 م.
- الألبانيّ :(أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانيّ)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، د،ت، مكتب الإسلامي.
- البخاريّ:(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلي الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار طوق النجاة، ط1، سنة1422ه.
- بكر ناجي:(بكر بن عبد الله أبو زيد)، حراسة الفضيلة، د،ت، دار العاصمة للنشر والتوزيع –الرياض ،ط11، سنة 1426ه، 2005م.
- البيهقيّ :(أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنّن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط3 ، 1424ه-2003م.
- الترمذيّ:(محمد بن عيسي بن سورة بن موسيّ الضحاك)، سنن الترمذيّ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض مدرس في الأزهر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابيّ الحلبيّ –مصر، ط2، سنة1355ه-1975م.

- الجرجانيّ: (علي بن محمد بن علي الزين)، كتاب التّعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1403ه.
- الجصـــاص:(أحمد بن على أبو بكر الرازيّ)، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصـــادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، د،ط، 1405ه، 184/2.
- الجوابيّ محمد الطاهر، المجتمع والأسرة في الإسلام، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط3، سنة، 1423ه-2000م.
- الخرائطيّ:(محمد بن جعفر بن محمد)، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائفها، أيمن عبد الجبار البحيريّ، دار الأفق العربية – القاهرة، ط1، سنة 1419ه- 1999م.
- الذهبي:(شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تحقيق محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية –مؤسسة علوم القرآن جدة، ط1، سنة 1413ه-1992م.
- رشيد رضا: (محمد بن رشيد بن علي رضا)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتب.
- زهويّ:(أبو عبد الله الدانيّ بن منير)، سلسلة الاثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، دار الفاروق للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، سنة 1424ه-2003م.
- السنديّ:(محمد بن عبد الهادي التتويّ)، حاشية السنديّ على ابن ماجة، دار الجبل –بيروت.
- شهاب:(أبو العباس شهاب الدين)، إرشاد الساريّ لشرح صحيح البخاريّ، المطبعة الكبرى الأميرية مصر، ط7، سنة1323ه.
- الشوكانيّ:(محمد بن علي بن محمد)، نيل الأوطار، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط1، سنة 1413ه -1993م.
- العراقيّ:(أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم)، طرح التثريب في شرح التقريب الطبعة المصرية القديمة.
- علال الفاسيّ، مقاصد الشريعة ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية الدار بيضاء- مغرب.
- العيني:(أبو محمد محمود بن أحمد بن حسين)، عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، دار إحياء التراث العربيّ –بيروت.
- الفارابيّ:(أبو نصر إسماعيل بن حماد بن الجوهريّ)، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق عبد الغّفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407ه-1987م.
- القرطبيّ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاريّ، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصريّة القاهرة، ط2، 1964م.
- الماورديّ:(أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب)، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، د.ط، سنة، 1986م.
- محمد سالم:(عطية بن محمد سالم)، شرح الأربعين النّوويّة، مصدر الكتاب دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- المراغيّ :" (أحمد بن مصطفي المراغيّ)، تفسير المراغي د،ط، شركة مكتبة مطبعة علي البابى وأولاده بمصر،ط1، سنة،1365ه-1946م.
- مسلم:(مسلم بن حجاج القشيريّ النيسابوريّ)، مسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله علّيه وسلّم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقيّ، دار إحياء التراث، بيروت.
- المكيّ أبو طالب:"(محمد بن علي بن عطية الحارثي)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف الطريق المريد إلي مقام التوحيد، تحقيق د، عاصم إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط2،سنة 1426ه-2005م.
- الميدانيّ:"(عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميدانيّ)، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، د،ت، دار القلم- دمشق، ط8، سنة،1420ه-2000م.
- الندويّ:(علي أبو الحسن فخر الدين)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، د،ت، مكتبة الإيمان منصورة مصر.